جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

خطبة السادات/

رئيس جمهورية مصر العربية
في الفترة من ١٩٧٠/١٩٨١م

في

الكنيست الإسرائيلي ١٩٧٧م
دراسة فنية نقدية

الدكتورة
هدى سعد الدين يوسف أحمد
مدرس الأدب والنقد فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ معلم البشرية وأعظم قائد عرفته الإنسانية وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في ضوء النص:

- عنوان البحث يفيد محددين :
- الأول:يفيد المجال الذي ينتمي إليه البحث وهو الدراسة الأدبية.

أما الثاني : فيفيد مادة البحث فهو ينحصر في الخطبة التى ألقاها الرئيس الراحل محمد أنور السادات في إسرائيل سنة ١٩٧٧م .

*** مادة البحث :**

مادة هذا البحث هى خطبة(١) السادات في جلسة الكنيست الخاصة رقم(٤٣) بتاريخ ١٩٧٧/١١/٢٠م الساعة الرابعة مساءً وهى خطبة ألقيت خارج مصر، أثناء زيارة الرئيس الراحل محمد أنور السادات للقدس الشريف.

الخطب السياسية :

* موضوع هذا البحث هو خطبة من النوع السياسي .

وليست الخطابة السياسية من منتجات عصرنا الحديث،ولكنها ضاربة في القدم إلى ماضٍ بعيد" ترجع إلى الساعات التى نشأت فيها المطامع بين الدول، فأراد قويها أن يسود ضعيفها ويفرض عليه سلطانه(٢).

---

(١) لم تستخدم تسمية"خطبة" في النسخ الرسمية المنشورة من خطب السادات بل استخدمت تسمية أخرى هى خطاب ومع ذلك فسوف نستخدم في هذا البحث التسمية الأكثر شيوعاً في التراث العربي القديم وهي خطبة .

(٢) محمد عبد الغنى حسن – الخطب والمواعظ ــ سلسلة فنون الأدب العربى ص٨٨ ج٢ دار المعارف .

ولقد حفظ لنا التاريخ من التراث العربى مئات الخطب التى أُلقيت في لحظات حاسمة من التاريخ العربى على مر العصور(١) ، أسهمت فيها الخطابة السياسية في صياغة الواقع السياسى الذي يمثل جزءاً من تاريخ العرب(٢) .

*** لماذا هذه الخطبة مادة لهذا البحث؟**

أولاً : نظراً للدور الخطير الذي لعبته هذه الخطبة في تلك الفترة محلياً وعربياً وعالمياً ، فقد كانت أداة من أدوات التغيير السياسي الفعلي ــ فكانت سبباً أو تمهيداً للعديد من الأحداث التاريخية ، مثل مؤتمر كامب ديفيد ثم معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل.

ــ كما كانت أول أداة محورية من أدوات بداية تغيير العلاقة بين مصر والدول العربية والأجنبية .

ثانياً:ثراء الخطبة كماً وكيفاً من حيث الكم فقد زادت على عشر ورقات طوال. كما أخذ حوالى ستين دقيقة تقريباً مسجلة فيديو(مدة العرض).

---

(١) ربما يمكن إدراك حجم هذا الثراء بالاطلاع على كتاب جمهرة خطب العرب ، لأحمد زكى صفوت ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى.

(٢) ربما تراجعت الخطابة في تأثيرها حينما تولى مقاليد الحكم (أتراك ــ فرس ــ مماليك) لا يفقهون التحدث بالعربية، لكن في العصر الحديث الذي شهد نمواً سياسياً، وتنوعاً في وسائل الاتصال تنامى فيه الدور الخطابى على مستوى الوطن العربى، و"الخطابة السياسية في العصر الحديث ليست هى الخطابة السياسية القديمة؛لا في غاياتها ولا وسائل انتشارها ولا طبيعية تأثيرها ولا لغتها أو بلاغتها،ومع ذلك فثمة أشياء مشتركة بين خطابة الأمس واليوم، ربما كان أهما هو ذلك التقدير الذي يعطيه العربى قديماً وحديثاً لهؤلاء اللذين يجيدون الخطابة)، انظر: عماد على عبد اللطيف ــ البلاغة السياسية ــ تحليل لمختارات من الخطب السياسية للرئيس الراحل محمد أنور السادات ١٩٧٠م ــ ١٩٨١ ــ ص١١.رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه كلية الآداب جامعة القاهرة ج١، ٢٠٠٨م ــ من الجدير بالذكر أن هذه الخطبة لم تكن ضمن المختارات ولم تدخل الرسالة في الدراسة الأدبية .

أما الثراء الكيفى فيتجلى في التنوع الأسلوبى لهذه الخطبة، من ناحية أنها ألقيت باللغة الفصحى ، خلافاً لأغلب خطب السادات التي ألقيت أمام الجمهور المصري، وارتجل فيها ألفاظاً عامية وسوف نتعرف على بعض مظاهر هذا التراث في القسم الفنى من الدراسة .

إضافة لذلك ، أن هذه الخطبة لم تدرس دراسة فنية أدبية من قبل فيما أعلم ومن ثَمَّ فإنها ما تزال مادة بكراً للدرس الأدبي .

كما أن السادات نفسه مارس الخطابه السياسية على نطاق واسع قبل توليه رئاسة الدولة (١) .

*** مصادر الحصول على المادة :**

توجد ثلاثة إصدارات من خطب السادات،إصدار مقروء ، وإصدار مسموع،وإصدار مسموع مرئى، استطعت الحصول على نسخة كاملة من الإصدار المقروء في شكل اسطوانة مدمجة ، صدرت عن الهيئة المصرية العامة للاستعلامات كما استطعت الحصول على نسخة ورقية للخطبة من الموقع الالكترونى الرسمى للرئيس السادات مسجل ثيديو (٢).

---

(١) يتضمن"الموقع الرسمى" للرئيس محمد أنور السادات" عشرات الخطب المسموعة التى ألقاها قبل رئاسته انظر ،

http: NWWW . anwarsadat . org/ voice homepage.

(٢) يوجد موقعان على الشبكة الدولية للمعلومات يتضمنان معلومات أساسية ومواد أرشيفية تخص السادات هما :

http : www: anwareIsadat .

http: // www . anwarsadat . org/ الموقع الأول هو الموقع الرسمى ، ويتضمن ذخيرة كبيرة من المواد الأرشيفية التى تضم نسخاً سمعية ورئيسة لبعض خطبه، ... كما يتضمن الكثير من الكتب والمقالات التى تحمل توقيعه وقد أضيفت معظم المادة الأرشيفية التي يتضمنها الموقع في التحديث الثاني له، والموقع يمثل ذخيرة حقيقية للباحثين المهتمين بنصوص السادات وخطبه ومجمل تراثه .

*** منهج البحث:**

ينتمى هذا البحث إلى تحليل الخطاب السياسى وينقسم إلى قسمين:

قسم يعالج ظاهرة استخدام الخطاب الديني، والقيم الإنسانية في الخطبة، وتحليل مضمون الخطبة.

وقسم يعالج الجانب الفني والنقدي.

*** صعوبات تخص مادة البحث :**

مادة هذا البحث هى خطبة سياسية لرئيس دولة[١] هذا النوع من الخطب غالباً ما يعد سلفاً من قبيل طرف آخر، مما يؤدى إلى ظهور مشكلة " الكاتب الشبح أى الشخص ــ أو الأشخاص ــ الذي يقوم بكتابة نص يقوم بإلقائه شخص آخر، دون إشارة إلى مؤلفه الأصلى ، والكتابة الشبحية، أى النصوص التى يعدها شخص ــ أو أشخاص ليلقيها شخص آخر، تنسب إليه"[٢].

وقد سبق لعبد العليم محمد مناقشة هذه المسألة بشكل تفصيلي ؛ حين تناول الدور المحتمل لمحرري خطب السادات في صياغة خطابه السياسي ، وتوصل إلى بعض الأفكار التى يمكن أن تمثل حجر زاوية لأية مقاربة للمسألة .

---

(١) ولد السادات في قرية ميت أبو الكوم مركز تلا محافظة المنوفية في ١٩١٨/١٢/٢٥م انخرط في العمل الوطني والسياسي في فترة مبكرة من حياته ، وقام بأعمالٍ فدائية ، خاصة ضد الاحتلال الإنجليزي وأعوانه مثل اتصاله بجواسيس ألمان أثناء الحرب العالمية الثانية ، واشتراكه في اغتيال عثمان أمين (شغل عثمان أمين منصب وزير المالية في الوزارة الوفدية في١٩٤٢م كان من المتحمسين لبقاء الإنجليز في مصر، وقد اغتيل في يناير ١٩٤٦م ، وكان السادات المتهم رقم(٧) في القضية) انضم إلى حركة الضباط الأحرار ، وأعلن بيان الحركة في ٢١ يوليو ١٩٥٢م . تولى عدداً من المناصب أثناء حكم عبد الناصر (١٩٥٤-١٩٧٠م) مثَّلَ رئاسة تحرير جريدة الجمهورية ورئاسة منظمة المؤتمر الإسلامي ومجلس الأمة. كان يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية وقت وفاة عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر١٩٧٠م ، وتولى بعدها منصب رئيس الجمهورية حتى اغتياله في٦ أكتوبر١٩٨١م .

(٢) راجع / عماد على عبد اللطيف – البلاغة السياسية ــ سبق ذكره ص٢٤ .

هذه الأفكار تتلخص في أن رجل السياسة ما إن يتلفظ بشئ " حتى يصبح مسئولاً عنه ومنسوباً إليه دون اعتبار لمسألة أن شخصاً أو جماعة أخرى ربما قامت بصياغته أو شاركت فيه، وأن السادات كان يتسم بالاستقلال الشديد بإزاء مستشاريه؛ نتيجة تمرسه بمهنة الكتابة والخطابة قبل أن يصبح رئيساً من ناحية، وتميز نمط حكمه بالفردية أو ما أطلق عليه،شخصية السلطة، من ناحية أخرى"(١).

وتبدو مسألة الكاتب الشبح ذات حساسية خاصة في البحث الحالى ؛ لأن البحث يتخذ من لغة الخطبة مادة لدراسته ، ويمكن الادعاء بأن هذه الخطبة لا تمثل السادات بقدر ما تمثل مؤلفها الأصلي. فهى من الخطب المعدة سلفاً وذلك طبقاً للمعايير منها قراءة الخطبة من نص مكتوب فهي ليست من الخطب المرتجلة، وأخرى لغوية فقد خلت الخطبة تماماً من الألفاظ العامية الشعبية.

وإن كانت الخطبة في فكرتها ومضمونها ، تمثل السادات أصدق تمثيل، كما أن هذا البحث ليس درساً أسلوبياً للخطبة، بل هو تحليل نقدي وفني ، ومعنيٌّ بما تفعله لغة الخطبة على متلقيها .

وبناء على ما سبق ربما لا يكون من المبالغ فيه القول إن مسألة الكاتب الشبح والكتابة الشبحية لا تؤثر بدرجه تذكر على نتائج هذا البحث(٢).

---

(١) لمراجعة تفصيلة لأفكاره انظر،عبد العليم محمد ط:١٩٩٠م ص٣٣ــ ٣٥،ص٩٨ ــ ١٠٣.

(٢) لم تقع في يدي وثيقة قطعية فيما يتعلق بمن قام بتحرير هذه الخطبة، وقد صرح العديد من الكتاب،بأنهم قاموا تحرير بعض خطب السادات ومنهم الزيات،وهيكل،موسى صبرى، أحمد بهاء الدين...وتبدوا مسألة محرري الخطب من الأهمية بمكان.

كما أنه من الضرورى التأكيد على أن رجل السياسة يختار من المحررين ومن النصوص ما يقترب من قناعاته واحتياراته ليكون معيناً له في صياغة خطبه السياسية كما أن هذه الخطبة ورد فيها أكثر من نص يؤكد أنه صاحب الفكرة (السلام) وصاحب القرار (الزيارة إلى إسرائيل)بما يجعل محرري هذه الخطبة يحاولون أن تقترب نصوصهم من قناعات صاحب القرار واختياراته،وإن تسرب بعض قناعاتهم الشخصية إلى الخطبة

هناك صعوبه أخرى بدت في منهج البحث؛ لأن الخطبة طويلة وحافلة بالأفكار والقضايا، ولذلك قسمتها إلى ست مقالات بدأ كل مقال بفاصل(**أيها السيدات والسادة)** فكل نداء جعتله بداية لفكرة جديدة تبدو مستقلة عن سابقتها.

كذلك واجهتني صعوبة في المجال المعرفى الذي ينتمي إليه البحث، في ندرة الكتابات العربية حول الخطابة السياسية في المجال الأدبي والنقدي.

ولمزيدٍ من المعرفة سيتضح بنص الخطبة التالي : وما يعقبها من دراسة.

نص الخطبة

بوعى أو بدون وعى،لكنها في كل الأحوال كما هو واضح من نص الخطبة خدمت الفكر الساداتى بقدر وافر.

وهذه مسألة تحتاج لدارسة مستقلة يكون فيها الدارس معنياً بالخطب المعدة سلفاً ومحاولة ردها إلى مؤلفيها،وتأثير معتقداتهم وتوجهاتهم على خطاب السادات.

وهناك العديد من المقترحات والتوصيات ذكرها د/عماد على عبد اللطيف ــ البلاغة السياسية سبق ذكره.

خطاب الرئيس السادات بالكنيست الاسرائيلى ٢٠ نوفبر ١٩٧٧
نص الخطاب نقلاً عن موقع الكنيست الإسرائيلي
خطاب السادات في الكنيست الإسرائيلي٩ من ذي الحجة ١٣٩٧هـ ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧م

المقال الأول

السيد الرئيس:

أيها السيدات والسادة:

اسمحوا لي أولاً أن أتوجه إلى السيد رئيس الكنيست بالشكر الخاص، لإتاحته هذه الفرصة، لكي أتحدث إليكم. وحين أبدأ حديثي أقول:

السلام عليكم ورحمة الله، والسلام لنا جميعاً، بإذن الله.

السلام لنا جميعاً، على الأرض العربية وفي إسرائيل، وفي كل مكان من أرض هذا العالم الكبير، المعقَّد بصراعاته الدامية، المضطرب بتناقضاته الحادَّة، المهدَّد بين الحين والحين بالحروب المدمِّرة، تلك التي يصنعها الإنسان، ليقضي بها على أخيه الإنسان. وفي النهاية، وبين أنقاض ما بنَى الإنسان، وبين أشلاء الضحايا من بنِي الإنسان، فلا غالب ولا مغلوب، بل إنَّ المغلوب الحقيقي دائماً هو الإنسان، أرقى ما خلقَه الله. الإنسان الذي خلقه الله، كما يقول غاندي، قدّيس السلام، "لكي يسعى على قَدَميه، يبني الحياة، ويعبد الله".

وقد جئت إليكم اليوم على قَدَمَيْن ثابتَتَيْن، لكي نبني حياة جديدة، لكي نُقِيم السلام. وكلنا على هذه الأرض، أرض الله، كلنا، مسلمين ومسيحيين ويهود، نعبد الله، ولا نشرك به أحداً. وتعاليم الله ووصاياه، هي حب وصدق وطهارة وسلام.

وإنني ألتمس العذر لكل من استقبل قراري، عندما أعلنته للعالم كله أمام مجلس الشعب المصري، بالدهشة، بل الذهول. بل إن البعض، قد صَوَّرت له المفاجأة العنيفة، أن قراري ليس أكثر من مناورة كلامية للاستهلاك أمام الرأي العام العالمي، بل وصفه بعض آخر بأنه تكتيك سياسي، لكي أخفي به نواياي في شنِّ حرب جديدة.

ولا أخفي عليكم أن أحد مساعديَّ في مكتب رئيس الجمهورية، اتصل بي في ساعة متأخرة من الليل، بعد عودتي إلى بيتي من مجلس الشعب، ليسألني، في قلق: وماذا تفعل، يا سيادة الرئيس، لو وجَّهت إليك إسرائيل الدعوة فعلا؟ فأجبته، بكل هدوء:سأقْبلها على الفور.

لقد أعلنت أنني سأذهب إلى آخِر العالم. سأذهب إلى إسرائيل؛ لأنني أريد أن أطرح الحقائق كاملة أمام شعب إسرائيل.

إنني ألتمس العذر لكل من أذهله القرار، أو تشكك في سلامة النوايا وراء إعلان القرار. فلم يكن أحد يتصور أن رئيس أكبر دولة عربية، تتحمل العبء الأكبر والمسؤولية الأولى في قضية الحرب والسلام في منطقة الشرق الأوسط، يمكن أن يعرض قراره بالاستعداد للذهاب إلى أرض الخصم. ونحن لا نزال في حالة حرب، بل نحن جميعاً لا نزال نعاني آثار أربع حروب قاسية خلال ثلاثين عاماً، بل إن أُسَر ضحايا حرب أكتوبر 1973، لا تزال تعيش مآسي الترمل، وفقْد الأبناء، واستشهاد الآباء والإخوان.

كما أنني، كما سبق أن أعلنت من قبل، لم أتداول هذا القرار مع أحد من زملائي وإخوتي، رؤساء الدول العربية، أو دول المواجهة. ولقد اعترض من اتصل بي منهم، بعد إعلان القرار؛ لأن حالة الشكّ الكاملة، وفقدان الثقة الكاملة، بين الدول العربية والشعب الفلسطيني، من جهة، وبين إسرائيل من جهة أخرى، لا تزال قائمة في كل النفوس. ويكفي أن أشهراً طويلة، كان يمكن أن يحلَّ فيها السلام. قد ضاعت سدى، في خلافات ومناقشات لا طائل منها حول إجراءات عقد مؤتمر جنيف، وكلها تعبّر عن الشك الكامل وفقدان الثقة الكاملة.

ولكنني أصارحكم القول بكل الصدق، أنني اتخذت هذا القرار بعد تفكير طويل، وأنا أعلم أنه مخاطرة كبيرة؛ لأنه إذا كان الله قد كتب لي قدري أن أتولى المسؤولية عن شعب مصر، وأن أشارك في مسؤولية المصير، بالنسبة إلى الشعب العربي وشعب فلسطين، فإنَّ أول واجبات هذه المسؤولية، أن استنفد كل

السبُل، لكي أجنّب شعبي المصري العربي، وكل الشعب العربي، ويلات حروب أخرى، محطمة، مدمرة، لا يعلم مداها إلاَّ الله.

وقد اقتنعت بعد تفكير طويل، أن أمانة المسؤولية أمام الله، وأمام الشعب، تفرض عليَّ أن أذهب إلى آخِر مكان في العالم، بل أن أحضر إلى بيت المقدس، لأخاطب أعضاء الكنيست، ممثلي شعب إسرائيل، بكل الحقائق التي تعتمل في نفسي، وأترككم، بعد ذلك، لكي تقرروا لأنفسكم. وليفعل الله بنا، بعد ذلك، ما يشاء.

المقال الثاني

أيها السيدات والسادة:

إنَّ في حياة الأمم والشعوب لحظات، يتعين فيها على هؤلاء الذين يتّصفون بالحكمة والرؤية الثاقبة، أن ينظروا إلى ما وراء الماضي، بتعقيداته ورواسبه، من أجل انطلاقة جسور نحو آفاق جديدة.

وهؤلاء الذين يتحملون، مثلنا، تلك المسؤولية الملقاة على عاتقنا، هم أول من يجب أن تتوافر لديهم الشجاعة لاتخاذ القرارات المصيرية، التي تتناسب مع جلال الموقف. ويجب أن نرتفع جميعاً فوق جميع صور التعصب، وفوق خداع النفس، وفوق نظريات التفوق البالية. ومن المهم ألاّ ننسى أبدًا أن العصمة لله وحده.

وإذا قلت إنني أريد أن أجنّب كل الشعب العربي ويلات حروب جديدة مفجعة. فإنني أعلن أمامكم، بكل الصدق، أنني أحمل نفس المشاعر، وأحمل نفس المسؤولية، لكل إنسان في العالم، وبالتأكيد نحو الشعب الإسرائيلي.

ضحية الحرب: الإنسان. إنّ الروح، التي تزهق في الحرب، هي روح إنسان، سواء أكان عربياً أو إسرائيلياً. إنَّ الزوجة التي تترمل، هي إنسانة، من حقّها أن تعيش في أسرة سعيدة، سواء أكانت عربية أو إسرائيلية.

إنَّ الأطفال الأبرياء، الذين يفقدون رعاية الآباء وعطفهم، هم أطفالنا جميعاً، على أرض العرب، أو في إسرائيل، لهم علينا المسؤولية الكبرى في أن نوفر لهم الحاضر الهانئ، والغد الجميل.

من أجل كل هذا، ومن أجل أن نحمي حياة أبنائنا وأخواتنا جميعاً، من أجل أن تنتج مجتمعاتنا، وهي آمنة مطمئنة، من أجل تطور الإنسان وإسعاده وإعطائه حقّه في الحياة الكريمة، من أجل مسؤوليتنا أمام الأجيال المقبلة، من أجل بسمة كل طفل يولد على أرضنا. من أجل كل هذا، اتخذت قراري أن أحضر إليكم، رغم كل المحاذير، لكي أقول كلمتي.

ولقد تحملت وأتحمل متطلبات المسؤولية التاريخية. ومن أجل ذلك، أعلنت من قبل، ومنذ أعوام، وبالتحديد في 4 فبراير 1971، أنني مستعد لتوقيع

اتفاق سلام مع إسرائيل. وكان هذا أول إعلان يصدر عن مسؤول عربي، منذ أن بدأ الصراع –العربي الإسرائيلي– وبكل هذه الدوافع، التي تفرضها مسؤولية القيادة، أعلنت في السادس عشر من أكتوبر 1973، وأمام مجلس الشعب المصري، الدعوة إلى مؤتمر دولي، يتقرر فيه السلام العادل الدائم.

ولم أكن، في ذلك الوقت، في وضع مَن يستجدي السلام أو يطلب وقف النار. وبهذه الدوافع كلها، التي يلزم بها الواجب التاريخي والقيادي، وقّعنا اتفاق فكّ الاشتباك الأول، ثم اتفاق فكّ الاشتباك الثاني في سيناء. ثم سعينا نطرق الأبواب، المفتوحة والمغلقة، لإيجاد طريق معين نحو سلامٍ دائمٍ، عادلٍ. وفتحنا قلوبنا لشعوب العالم كله، لكي تتفهم دوافعنا وأهدافنا، ولكي تقتنع فعلاً أننا دعاة عدل وصنّاع سلام.

وبهذه الدوافع كلها، قررت أن أحضر إليكم، بعقل مفتوح وقلب مفتوح وإرادة واعية، لكي نُقِيم السلام الدائم، القائم على العدل.

وشاءت المقادير أن تجيئ رحلتي إليكم، رحلة السلام، في يوم العيد الإسلامي الكبير، عيد الأضحى المبارك، عيد التضحية والفداء، حين أسلم إبراهيم عليه السلام ، جدُّ العرب واليهود. أقول حين أمره الله، وتوجّه إليه بكل جوارحه، لا عن ضعف، بل عن قوة روحية هائلة، وعن اختيار حرٍّ للتضحية بفلذة كبده، بدافع من إيمانه الراسخ، الذي لا يتزعزع، بمُثُل عليا تعطي الحياة مغزى عميقاً. ولعلَّ هذه المصادفة، تحمل معنى جديداً في نفوسنا جميعاً، لعلّه يصبح أملاً حقيقياً في تباشير الأمن والأمان والسلام.

المقال الثالث

أيها السيدات والسادة:

دعونا نتصارح، بالكلمة المستقيمة، والفكرة الواضحة، التي لا تحمل أي التواء. دعونا نتصارح اليوم، والعالم كله، بغربه وشرقه، يتابع هذه اللحظات الفريدة، التي يمكن أن تكون نقطة تحوّل جذري في مسار التاريخ في هذه المنطقة من العالم، إن لم يكن في العالم كله.

دعونا نتصارح، ونحن نجيب عن السؤال الكبير: كيف يمكن أن نحقق السلام الدائم، العادل؟

لقد جئت إليكم أحمل جوابي الواضح الصريح عن هذا السؤال الكبير، لكي يسمعه الشعب في إسرائيل، ولكي يسمعه العالم أجمع، ولكي يسمعه أيضاً كل أولئك، الذين تصل أصوات دعواتهم المخلصة إلى أذني، أملاً في أن تتحقق، في النهاية، النتائج التي يرجوها الملايين من هذا الاجتماع التاريخي.

وقبل أن أعلن جوابي، أرجو أن أؤكد لكم، أنني أعتمد، في هذا الجواب الواضح الصريح، على حقائق عدة، لا مهرب لأحد من الاعتراف بها:

الحقيقة الأولى، إنه لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين.

الحقيقة الثانية، إنني لم أتحدث ولن أتحدث بلُغَتَيْن، ولم أتعامل ولن أتعامل بسياستَيْن.

ولست أتعامل مع أحدٍ، إلاّ بلُغة واحدة، وسياسة واحدة، ووجْه واحد.

الحقيقة الثالثة، إنَّ المواجهة المباشرة والخط المستقيم، هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح.

الحقيقة الرابعة، إنَّ دعوة السلام الدائم، العادل، المَبْني على احترام قرارات الأمم المتحدة، أصبحت اليوم دعوة العالم كله، وأصبحت تعبيراً واضحاً عن إرادة المجتمع الدولي، سواء في العواصم الرسمية، التي تصنع السياسة

وتتخذ القرار، أو على مستوى الرأي العام العالمي الشعبي، ذلك الرأي العام الذي يؤثِّر في صنع السياسة واتخاذ القرار.

الحقيقة الخامسة، ولعلَّها أبرز الحقائق وأوضحها، إنّ الأمة العربية لا تتحرك في سعيها من أجل السلام الدائم، العادل، من موقع ضعف أو اهتزاز؛ بل إنها على العكس تماماً، تملك من مقومات القوة والاستقرار ما يجعل كلمتها نابعة من إرادة صادقة نحو السلام. صادرة عن إدراك حضاري أنه لكي تتجنب كارثة محقَّقة، علينا وعليكم وعلى العالم كله؛ فإنه لا بديل من إقرار سلامٍ دائمٍ، وعادلٍ، لا تزعزعه الأنواء، ولا تعبث به الشكوك، ولا يهزه سوء المقاصد أو التواء النوايا.

من واقع هذه الحقائق، التي أردت أن أضعكم في صورتها كما أراها، أرجو أيضاً أن أحذركم، بكل الصدق، أحذركم من بعض الخواطر، التي يمكن أن تطرأ على أذهانكم.

إن واجب المصارحة يقتضي أن أقول لكم ما يلي:

أولاً: إنني لم أجئ إليكم لكي أعقد اتفاقاً منفرداً بين مصر وإسرائيل. ليس هذا وارداً في سياسة مصر. فليست المشكلة هي مصر وإسرائيل. وأي سلام منفرد بين مصر وإسرائيل، أو بين أية دولة من دول المواجهة وإسرائيل، فإنه لن يُقِيم السلام الدائم، العادل، في المنطقة كلها. بل أكثر من ذلك، فإنه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها وإسرائيل، بغير حلٍ عادلٍ للمشكلة الفلسطينية، فإنَّ ذلك لن يحقق أبدًا السلام الدائم، العادل، الذي يلحّ العالم كله اليوم عليه.

ثانياً: إنني لم أجئ إليكم لكي أسعى إلى سلام جزئي، بمعنى أن ننهي حالة الحرب في هذه المرحلة، ثم نرجئ المشكلة برمّتها إلى مرحلة تالية. فليس هذا هو الحل الجذري، الذي يصل بنا إلى السلام الدائم.

ويرتبط بهذا، أنني لم أجئ إليكم لكي نتفق على فضِّ اشتباك ثالث في سيناء، أو في سيناء والجولان والضفة الغربية. فإنَّ هذا يعني أننا نؤجل فقط اشتعال الفتيل إلى أي وقت مقبل، بل هو يعني، أننا نفتقد شجاعة مواجهة السلام، وأننا أضعف من أن نتحمل أعباء ومسؤوليات السلام الدائم، العادل.

لقد جئت إليكم لكي نبني معاً السلام الدائم، العادل، حتى لا تُراق نقطة دم واحدة من جسد عربي أو إسرائيلي.

ومن أجل هذا، أعلنت أنني مستعدّ لأن أذهب إلى آخِر العالم.

وهنا نعود إلى الإجابة عن السؤال الكبير: كيف نحقق السلام الدائم، العادل؟

في رأيي، وأعلنها من هذا المنبر للعالم كله، أن الإجابة ليست مستحيلة، ولا هي بالعسيرة، على الرغم من مرور أعوام طويلة من ثأر الدم، والأحقاد والكراهية، وتنشئة أجيال على القطيعة الكاملة، والعداء المستحكم. الإجابة ليست عسيرة، ولا هي مستحيلة، إذا طرقنا سبيل الخط المستقيم بكل الصدق والأمانة.

أنتم تريدون العيش معنا في هذه المنطقة من العالم. وأنا أقول لكم، بكل الإخلاص، إننا نرحب بكم بيننا، بكل الأمن والأمان.

إنَّ هذا في حد ذاته، يشكّل نقطة تحوّل هائلة من علامات تحوّل تاريخي حاسم.

لقد كنّا نرفضكم، وكانت لنا أسبابنا ودعوانا.. نعم.

لقد كنّا نرفض الاجتماع بكم، في أي مكان.. نعم.

لقد كنّا نصفكم بإسرائيل المزعومة.. نعم.

لقد كانت تجمعنا المؤتمرات أو المنظمات الدولية، وكان ممثلونا، ولا يزالزن، لا يتبادلون التحية والسلام.. نعم.

حدث هذا، ولا يزال يحدث.

لقد كنّا نشترط لأي مباحثات وسيطاً، يلتقي كل طرف على انفراد.. نعم.

هكذا تمَّت مباحثات فضِّ الاشتباك الأول. وهكذا أيضاً تمَّت مباحثات فضِّ الاشتباك الثاني.

كما أن ممثيلينا التقوا في مؤتمر جنيف الأول، دون تبادل كلمة مباشرة.. نعم. هذا حدث.

ولكنني أقول لكم اليوم، وأعلن للعالم كله، إننا نقبل بالعيش معكم في سلامٍ دائمٍ وعادلٍ. ولا نريد أن نحيطكم أو أن تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير، أو بقذائف الأحقاد والكراهية.

ولقد أعلنت أكثر من مرة، أن إسرائيل أصبحت حقيقة واقعة، اعترف بها العالم، وحملت القوّتان العُظميان مسؤولية أمنِها وحماية وجودها. ولما كنّا نريد السلام، فعلاً وحقّاً، فإننا نرحب بأن تعيشوا بيننا، في أمن وسلام، فعلاً وحقّاً.

لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخم مرتفع، حاولتم أن تبنُوه على مدى ربع قرن من الزمان. ولكنه تحطم في عام ١٩٧٣ .

كان جداراً من الحرب النفسية، المستمرة في التهابها وتصاعدها.

كان جداراً من التخويف بالقوة، القادرة على اكتساح الأمة العربية، من أقصاها إلى أقصاها.

كان جداراً من الترويج، أننا أمّة تحولت إلى جثة بلا حراك، بل إن منكم من قال إنه حتى بعد مضيّ خمسين عاماً مقبلة، فلن تقوم للعرب قائمة من جديد.

كان جداراً يهدد دائما بالذراع الطويلة، القادرة على الوصول إلى أي موقع وإلى أي بُعد.

كان جداراً يحذرنا من الإبادة والفناء، إذا نحن حاولنا أن تستخدم حقّنا المشروع في تحرير أرضنا المحتلة.

وعلينا أن نعترف معاً بأن هذا الجدار، قد وقع وتحطم في عام 1973، ولكن، بقي جدار آخر. هذا الجدار الآخر، يشكل حاجزاً نفسياً معقّداً بيننا وبينكم. حاجزاً من الشكوك، حاجزاً من النفور، حاجزاً من خشية الخداع، حاجزاً من الأوهام حول أي تصرف أو فعل أو قرار، حاجزاً من التفسير الخاطئ لكل حدث أو حديث.

وهذا الحاجز النفسي، هو الذي عبّرت عنه في تصريحات رسمية، بأنه يشكّل سبعين في المائة من المشكلة.

وإنني أسألكم اليوم، بزيارتي لكم، لماذا لا نمدّ أيادينا، بصدقٍ وإيمانٍ وإخلاصٍ، لكي نحطم هذا الحاجز معاً؟

لماذا لا تتفق إراداتنا، بصدقٍ وإيمانٍ وإخلاصٍ، لكي نزيل معاً كل شكوك الخوف والعذر والتواء المقاصد وإخفاء حقائق النوايا؟

لماذا لا نتصدى معًا، بشجاعة الرجال، وبجسارة الأبطال، الذين يهَبون حياتهم لهدف أسمَى؟

لماذا لا نتصدى معاً، بهذه الشجاعة والجسارة، لكي نُقِيم صرحاً شامخاً للسلام، يحمي ولا يهدِّد، يشعّ لأجيالنا القادمة أضواء الرسالة الإنسانية نحو البناء والتطور ورِفعة الإنسان؟

لماذا نُورِّثُ هذه الأجيال نتائج سفك الدماء، وإزهاق الأرواح، وتيتيم الأطفال، وترمل الزوجات، وهدم الأُسر، وأنين الضحايا؟

لماذا لا نؤمن بحكمة الخالق، التي أوردها في أمثال سليمان الحكيم:

"الغش في قلب الذين يفكرون في الشرّ. أما المبشرون بالسلام، فلهم فرح".

" لقمة يابسة، ومعها سلامة، خير من بيت مليء بالذبائح، مع الخصام".

لماذا لا نردّد معاً من مزامير داوود النبي:

"إليك، يا رب، أصرخ. اسمع صوت تضرعي، إذا استغثت بك. وأرفع يدي إلى محراب قُدْسك، لا تجذبني مع الأشرار ومع فَعَلة الإثم، المخاطبين أصحابهم بالسلام، والشرّ في قلوبهم. اعطهم حسب فِعلهم، وحسب شر أعمالهم. أطلب السلامة وأسعى وراءها".

أيها السادة:

الحق أقول لكم، إن السلام لن يكون اسماً على مسمّى، ما لم يكن قائماً على العدالة، وليس على احتلال أرض الغير. ولا يَسُوغ أن تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم.

وبكل صراحة، وبالروح التي حدت بي على القُدوم إليكم اليوم، فإني أقول لكم، إنَّ عليكم أن تتخلّوا، نهائياً، عن أحلام الغزو، وأن تتخلّوا، أيضاً، عن الاعتقاد بأن القوة هي خير وسيلة للتعامل مع العرب.

إنَّ عليكم أن تستوعبوا جيدًا دروس المواجهة بيننا وبينكم، فلن يجديكم التوسع شيئاً.

ولكي نتكلم بوضوح، فإن أرضنا لا تقبل المساومة، وليست عُرضة للجدل. إنَّ التراب الوطني والقومي، يعتبر لدينا في منزلة الوادي المقدس طُوى، الذي كلَّم فيه الله موسى عليه السلام . ولا يملك أي منّا، ولا يقبل أن يتنازل عن شبر واحد منه، أو أن يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليه.

والحق أقول لكم أيضاً، إن أمامنا، اليوم، الفرصة السانحة للسلام، وهي فرصة لا يمكن أن يجود بمثلها الزمان، إذا كنَّا جادّين حقّاً في النضال من أجل السلام.

وهي فرصة، لو أضعناها، أو بدّدناها، فلسوف تحلّ بالمتآمر عليها لعنة الإنسانية، ولعنة التاريخ.

ما هو السلام بالنسبة إلى إسرائيل؟

أن تعيش في المنطقة، مع جيرانها العرب، في أمن واطمئنان. هذا منطقٌ أقول له نعم.

أن تعيش إسرائيل في حدودها آمنة من أي عدوان. هذا منطقٌ أقول له نعم.

أن تحصل إسرائيل على كل أنواع الضمانات، التي تؤمِّن لها هَاتَيْن الحقيقتين. هذا مطلبٌ أقول له نعم.

بل إننا نعلن أننا نقبَل كل الضمانات الدولية، التي تتصورونها، وممّن تَرضَونه أنتم.

نعلن أننا نقبَل كل الضمانات، التي تريدونها من القوَّتين العُظمَيين، أو من إحداهما، أو من الخمسة الكبار، أو من بعضهم.

وأعود فأعلن، بكل الوضوح، أننا قابلون بأي ضمانات تَرتضونها؛ لأننا في المقابل، سنأخذ نفس الضمانات.

خلاصة القول، إذًا، عندما نسأل: ما هو السلام بالنسبة إلى إسرائيل؟

يكون الرد هو أن تعيش إسرائيل في حدودها مع جيرانها العرب في أمن وأمان، وفي إطار كل ما ترتضيه من ضمانات، يحصل عليها الطرف الآخر.

ولكن كيف يتحقق هذا؟ كيف يمكن أن نصِلَ إلى هذه النتيجة، لكي نصِلَ بها إلى السلام الدائم، العادل؟

هناك حقائق لا بد من مواجهتها، بكل شجاعة ووضوح.

هناك أرض عربية احتلتها، ولا تزال تحتلها، إسرائيل بالقوة المسلحة، ونحن نصرّ على تحقيق الانسحاب الكامل منها، بما فيها القدس العربية.

القدس التي حضرتُ إليها باعتبارها مدينة السلام، والتي كانت، وسوف تظل على الدوام، التجسيد الحيّ للتعايش بين المؤمنين بالديانات الثلاث.

وليس من المقبول أن يفكر أحد في الوضع الخاص لمدينة القدس، في إطار الضم أو التوسع. وإنّما يجب أن تكون مدينة حرة، مفتوحة لجميع المؤمنين.

وأهم من كل هذا، فإن تلك المدينة، يجب ألاّ تُفصل عن هؤلاء الذين اختاروها مقرّاً ومقاماً لعدة قرون.

وبدلاً من إيقاظ أحقاد الحروب الصليبية، فإننا يجب أن نحيي روح عمر بن الخطاب وصلاح الدين، أي روح التسامح واحترام الحقوق.

إنَّ دُور العبادة، الإسلامية والمسيحية، ليست مجرد أماكن لأداء الفرائض والشعائر، بل إنها تقوم شاهد صدقٍ على وجودنا، الذي لم ينقطع في هذا المكان، سياسياً وروحياً وفكرياً.

وهنا؛ فإنه يجب ألا يخطئ أحد تقدير الأهمية والإجلال اللذين نكنّهما للقدس، نحن معشر المسيحيين والمسلمين.

ودعوني أقُلْ لكم، بلا أدنى تردُّد، إنني لم أجيء إليكم تحت هذه القبة، لكي أتقدم برجاء أن تُجلوا قواتكم من الأرض المحتلة. إن الانسحاب الكامل من الأرض المحتلة بعد 1967، أمر بديهي، لا نقبل فيه الجدل، ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد.

ولا معنى لأي حديث عن السلام الدائم، العادل، ولا معنى لأي خطوة لضمان حياتنا معاً في هذه المنطقة من العالم، في أمن وأمان، وأنتم تحتلون أرضاً عربية بالقوة المسلحة. فليس هناك سلام يستقيم أو يُبنى، مع احتلال أرض الغير.

نعم، هذه بديهية، لا تقبل الجدل والنقاش، إذا خلُصت النوايا وصَدَق النضال، لإقرار السلام الدائم، العادل، لجيلنا ولكل الأجيال من بعدنا.

أمّا بالنسبة للقضية الفلسطينية، فليس هناك من ينكر أنها جوهر المشكلة كلها، وليس هناك من يقبل، اليوم، في العالم كله، شعارات رُفعت هنا في إسرائيل، تتجاهل وجود شعب فلسطين، بل تتساءل أين هو هذا الشعب؟

إنَّ قضية شعب فلسطين، وحقوق شعب فلسطين المشروعة، لم تعد، اليوم، موضوع تجاهل أو إنكار من أحد. بل لا يحتمل عقل يفكر أن تكون موضع تجاهل أو إنكار.

إنها واقع استقبله المجتمع الدولي، غرباً وشرقاً، بالتأييد والمساندة والاعتراف، في مواثيق دولية وبيانات رسمية، لن يجدي أحداً أن يصمّ أذنيه عن دويّها المسموع، ليل نهار، أو أن يغمض عينيه عن حقيقتها التاريخية، حتى

الولايات المتحدة الأمريكية، حليفكم الأول، التي تحمل قمة الالتزام لحماية وجود إسرائيل وأمنها، والتي قدّمت، وتقدّم إلى إسرائيل كل عون معنوي ومادي وعسكري. أقول حتى الولايات المتحدة اختارت أن تواجِه الحقيقة والواقع، وأن تعترف بأن للشعب الفلسطيني حقوقاً مشروعة، وأن المشكلة الفلسطينية هي قلب الصراع وجوهره، وطالما بقيت معلقة دون حل، فإن النزاع سوف يتزايد ويتصاعد، ليبلغ أبعاداً جديدة. وبكل الصدق، أقول لكم إن السلام لا يمكن أن يتحقق بغير الفلسطينيين، وإنه لخطأ جسيم، لا يعلم مداه أحد، أن نغمض الطرف عن تلك القضية، أو ننحّيها جانباً.

ولن أستطرد في سرد أحداث الماضي، منذ صدر وعد بلفور لستين عاماً خلَت، فأنتم على بيّنة من الحقائق جيداً.

وإذا كنتم قد وجدتم المبرر، القانوني والأخلاقي، لإقامة وطن قومي على أرضٍ، لم تكن كلها ملكاً لكم، فأولى بكم أن تتفهموا إصرار شعب فلسطين على إقامة دولته من جديد في وطنه.

وحين يُطالب بعض الغُلاة المتطرفين أن يتخلّى الفلسطينيون عن هذا الهدف الأسمى، فإنَّ معناه، في الواقع وحقيقة الأمر، مطالبة لهم بالتخلي عن هويتهم، وعن كل أمل لهم في المستقبل.

إنني أحيّي أصواتاً إسرائيلية، طالبت بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني، وصولاً إلى السلام، وضماناً له. ولذلك، فإنني أقول:

المقال الرابع

أيها السيدات والسادة، إنه لا طائل من وراء عدم الاعتراف بالشعب الفلسطيني وحقوقه في إقامة دولته وفي العودة. لقد مررنا، نحن العرب، بهذه التجربة من قبل، معكم، ومع حقيقة الوجود الإسرائيلي، وانتقل بنا الصراع من حربٍ إلى حربٍ، ومن ضحايا إلى مزيد من الضحايا، حتى وصلنا، اليوم، نحن وأنتم، إلى حافة هاويةٍ رهيبة وكارثة مروّعة، إذا نحن لم نغتنم اليوم معاً فرصة السلام الدائم والعادل.

عليكم أن تواجِهوا الواقع مواجَهة شجاعة، كما واجهته أنا.

ولا حلّ لمشكلة أبداً بالهروب منها، أو بالتعالي عليها.

ولا يمكن أن يستقر سلام بمحاولة فرض أوضاع وهمية، أدار لها العالم كله ظهره، وأعلن نداءه الإجماعي بوجوب احترام الحق والحقيقة.

ولا داعي للدخول في الحلقة المفرَغة مع الحق الفلسطيني.

ولا جدوى من خلق العقبات، إلاّ أن تتأخر مسيرة السلام، أو أن يُقتل السلام.

وكما قلت لكم، فلا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين. كما أن المواجَهة المباشرة والخط المستقيم، هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح. والمواجهَة المباشرة للمشكلة الفلسطينية، واللغة الواحدة لعلاجها نحو سلامٍ دائمٍ، عادلٍ، هو في أن تقوم دولته.

ومع كل الضمانات الدولية، التي تطلبونها، فلا يجوز أن يكون هناك خوف من دولة وليدة، تحتاج إلى معونة كل دول العالم لقيامها. وعندما تدق أجراس السلام، فلن توجد يدٌ لتدق طبول الحرب، وإذا وُجدت، فلن يُسمع لها صوتٌ.

وتصوروا معي اتفاق سلام في جنيف، نزفّه إلى العالم المتعطش إلى السلام. إتفاق سلام يقومُ على:

أولاً: إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، التي احتلت في عام ١٩٦٧ .

ثانياً: تحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني، وحقّه في تقرير المصير، بما في ذلك حقّه في إقامة دولته.

ثالثاً: حق كل دول المنطقة في العيش في سلام داخل حدودها الآمنة، والمضمونة عن طريق إجراءات يُتفق عليها، تحقق الأمن المناسب للحدود الدولية، بالإضافة إلى الضمانات الدولية المناسبة.

رابعاً: تلتزم كل دول المنطقة بإدارة العلاقات فيما بينها، طبقاً لأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وبصفة خاصة عدم الالتجاء إلى القوة، وحل الخلافات بينها بالوسائل السلمية.

خامساً: إنهاء حالة الحرب القائمة في المنطقة.

المقال الخامس

أيها السيدات والسادة:

إنَّ السلام ليس توقيعاً على سطور مكتوبة، بل إنه كتابة جديدة للتاريخ، إنَّ السلام ليس مباراة في المناداة به، للدفاع عن أية شهوات أو لِستَر أية أطماع، فالسلام، في جوهره، نضال جبّار ضد كل الأطماع والشهوات. ولعل تجارب التاريخ، القديم والحديث، تعلّمنا جميعاً أن الصواريخ والبوارج والأسلحة النووية، لا يمكن أن تُقِيم الأمن، ولكنها على العكس تحطم كل ما يبنيه الأمن.

وعلينا، من أجل شعوبنا، من أجل حضارة صنعها الإنسان، أن نحمي الإنسان في كل مكان، من سلطان قوة السلاح.

علينا أن نُعلي سلطان الإنسانية بكل قوة القيَم والمبادئ، التي تُعلي مكانة الإنسان.

وإذا سمحتم لي أن أتوجه بندائي من هذا المنبر إلى شعب إسرائيل، فإنني أتوجه بالكلمة الصادقة الخالصة، إلى كل رجل وامرأة وطفل في إسرائيل، إنني أحمل إليكم من شعب مصر، الذي يُبارك هذه الرسالة المقدسة من أجل السلام، أحمل إليكم رسالة السلام، رسالة شعب مصر، الذي لا يعرف التعصب، والذي يعيش أبناؤه، من مسلمين ومسيحيين ويهود، بروح المودّة والحب والتسامح. هذه هي مصر، التي حمّلني شعبها أمانة الرسالة المقدسة، رسالة الأمن والأمان والسلام.

فيا كل رجل وامرأة وطفل في إسرائيل: شجعوا قيادتكم على نضال السلام، ولتتجه الجهود إلى بناء صرْح شامخ للسلام، بدلاً من بناء القلاع والمخابئ المحصنة بصواريخ الدمار. قدّموا للعالم صورة الإنسان الجديد في هذه المنطقة من العالم، لكي يكون قدوة الإنسان العصر، إنسان السلام في كل موقع ومكان.

بشّروا أبناءكم، أن ما مضى هو آخر الحروب ونهاية الآلام، وأن ما هو قادم هو البداية الجديدة، للحياة الجديدة، حياة الحب والخير والحرية والسلام.

ويا أيتها الأم الثكلى، ويا أيتها الزوجة المترملة، ويا أيها الابن الذي فقد الأخ والأب، يا كل ضحايا الحروب،

- املئوا الأرض والفضاء بتراتيل السلام.
- املئوا الصدور والقلوب بآمال السلام.
- اجعلوا الأنشودة حقيقة تعيش وتثمر.
- اجعلوا الأمل دستور عمل ونضال.

وإرادة الشعوب هي من إرادة الله.

أيها السيدات والسادة:

قبل أن أصل إلى هذا المكان، توجّهت بكل نبضة في قلبي، وبكل خلجة في ضميري، إلى الله ﷻ وأنا أؤدي صلاة العيد في المسجد الأقصى، وأنا أزور كنيسة القيامة، توجهت إلى الله ﷻ بالدعاء أن يلهمني القوة، وأن يؤكد يقين إيماني بأن تحقّق هذه الزيارة أهدافها، التي أرجوها، من أجل حاضر سعيد، ومستقبل أكثر سعادة.

لقد اخترت أن أخرج على كل السوابق والتقاليد، التي عرفتها الدول المتحاربة، ورغم أن احتلال الأرض العربية ما زال قائماً؛ بل كان إعلاني عن استعدادي للحضور إلى إسرائيل مفاجأة كبرى، هزّت كثيراً من المشاعر، وأذهلت كثيراً من العقول، بل شككت في نواياها بعض الآراء، برغم كل ذلك، فإنني استلهمت القرار بكل صفاء الإيمان وطهارته، وبكل التعبير الصادق عن إرادة شعبي ونواياه، واخترت هذا الطريق الصعب؛ بل إنه في نظر الكثيرين أصعب طريق.

اخترت أن أحضر إليكم، بالقلب المفتوح والفكر المفتوح.

اخترت أن أعطي هذه الدفعة لكل الجهود العالمية المبذولة من أجل السلام.

اخترت أن أقدم لكم، وفي بيتكم، الحقائق المجرّدة عن الأغراض والأهواء.

لا لكي أناور، ولا لكي أكسب دولة، ولكن لكي نكسب معاً أخطر الجولات والمعارك في التاريخ المعاصر، معركة السلام العادل والدائم.

إنها ليست معركتي فقط، ولا هي معركة القيادات فقط في إسرائيل، ولكنها معركة كل مواطن على أرضنا جميعاً، من حقّه أن يعيش في سلام. إنها التزام الضمير والمسؤولية في قلوب الملايين.

وقد تساءل الكثيرون، عندما طرحت هذه المبادرة، عن تصوري لما يمكن إنجازه في هذه الزيارة، وتوقعاتي منها. وكما أجبت السائلين، فإنني أعلن أمامكم أنني لم أفكّر في القيام بهذه المبادرة من منطلق ما يمكن تحقيقه أثناء الزيارة، وإنما جئت هنا لكي رسالة.

ألا هل بلّغت؟ اللهّم فاشهد.

اللهم إنني أردد مع زكريا قوله: " أحبوا الحقّ والسلام".

وأستلهم آيات الله – العزيز الحكيم – حين قال: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون﴾ صدق الله العظيم.

والسلام عليكم.

أولاً : الظواهر الموضوعية في الخطبة :

١- استخدام الخطاب الديني :

مع تولي السادات مقاليد الحكم أحدث تحولاً جذرياً في العلاقة بين الدين والدولة في مصر، كان من أبرز مظاهره اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً للتشريع في الدستور الدائم لعام ١٩٧١م ، واعتبارها المصدر الأساسي للتشريع في التعديل الدستوري في عام ١٩٧٧م ، وأصبح" العلم والإيمان " شعاراً للدولة(١).

صاحَبَ هذا التحول عودة إلى استخدام اللغة الدينية في لغة السياسة المصرية خاصة الخطب الرئاسية ونتج عن ذلك وجود طابعٍ ديني مهيمن على خطب السادات، كان موضوعاً للعديد من الدراسات(٢).

ترى هذه الدراسات أن التنشئة الدينية الريفية للسادات هي العامل الحاسم في النزعة الدينية في الخطاب الساداتي وبعضها أفاد من بعض النظريات المعنية بالربط بين الخطاب الديني، والممارسة الاجتماعية .... وغيره.

وفي هذه الدراسة سوف أقدم تحليلاً لبعض مظاهر هذه النزعة الدينية من خلال النص .

وذلك من عدة وجوه:

١- الخطبة في ظل آيات من الكتب المقدسة :-

---

(١) انظر: الخطاب الساداتي : تحليل الحقل الأيدولوجي للخطاب الساداتي ــ عبد العليم محمد ــ كتاب الأهالي ــ القاهرة ١٩٩٠م ص١٣٩ :١٤١.

(٢) اهتم عدد من الباحثين بدراسة العلاقة بين الدين والسياسة في عصر السادات منهم ــ حسن حنفي١٩٨٦م،الحركات الإسلامية في مصر،المؤسسة الإسلامية للنشر بيروت ، نبيل عبد الفتاح ١٩٨٤م،المصحف والسيف:صراع الدين والدولة في مصرــ مكتبة المدبولي ــ القاهرة ــ عبد العليم محمد١٩٩٠،مرجع سابق،د/هالة مصطفى١٩٩٥م ــ النظام السياسي والمعارضة الإسلامية في مصرــ مركز المحروسة للنشرــ القاهرة.

آيات القرآن الكريم بعض من خطاب ديني مقدس ــ يُدرك من قِبَلِ المسلمين ــ بوصفه خطاباً إلهياً. المتكلم في هذه الآيات هو الله ، والمخاطب هم عباده. يتوجه خطاب المتكلم إلى فئةٍ محددة من المخاطبين هم المؤمنون بعبادته.

وكأن هناك استجابة ملزمة للمخاطب إزاء خطاب المتكلم هي الإيمان والتصديق المطلق، وإلا تعرض للطرد من دائرة الإيمان والاستبعاد من الجماعة(١).

وقد أدخل السادات جزءاً من آية قرآنية وجعلها في ختام الخطبة وفي فقرتها الأخيرة حيث قال:

(**وأستلهم آيات الله ــ العزيز الحكيم ــ حين قال:** ﴿**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾(٢).

مع استخدامه لنصوص أخرى من كتب مقدسة .

والخطب الرئاسية تتوجه إلي كل المواطنين دون استثناء فهي خطب عامة لا تمارس تمييزاً دينياً أو عرقياً أو سياسياً حيث إنها تنبني على مفهوم المواطنة الذي يلغي أياً من هذه التمييزات.

بل أحياناً يتكلم الرئيس بلسان الأقلية حتى يشعرهم بالانتماء وعدم الإقصاء الخطابي .

وهذا ما فعله السادات في بعض خطابه .

نراه يقول : (**نحن المسيحيين والمسلمين**) و (**لماذا لا نردد معاً مزامير داود النبي: " إليك يا رب اصرخ . اسمع صوت تضرعي إذا استغثت بك ، وارفع يدي إلى محراب قدسك،لا تجذبني مع الأشرار ، ومع فَعَلَةِ الإثم ، المخاطِبينَ**

---

(١) راجع عبد العليم محمد – الخطاب الساداتي ص ١٤٠ سبق ذكره.

(٢) سورة آل عمران آية : ٨٤.

أصحابَهم بالسلام ، والشر في قلوبهم ، اعطهم حسب فعلهم ، وحسب شر أعمالهم أطلب السلامة وأسعى وراءها" ويقول: **"اللهم إني أردد مع زكريا قوله : " أحبوا الحق والسلام").**

هذا من ناحية النص المقدس.

كما تحتوي الخطبة على عبارات عديدة يخاطب فيها كل الديانات؛ بل ويتحدث بلسانهم وكأنها مسؤلية واحدة.

واختار السادات لإتمام زيارته للقدس عيد الأضحى المبارك، وذلك لاستثمار المشاعر الدينية لأقصى حدٍ ممكن، لصالح مسعاه يقول:**(وشاءت المقادير أن تجيئ رحلتي إليكم،رحلة السلام،في يوم العيد الإسلامي الكبير ، عيد الأضحى المبارك ، عيد التضحية والفداء ، حين إبراهيم ﷺ ، جد العرب واليهود أقول حين أمره الله وتوجه إليه بكل جوارحه، لا عن ضعف بل عن قوة روحية هائلة ، وعن اختيارٍ حرٍ للتضحية بفلذة كبده ، بدافع من إيمانه الراسخ ، الذي لا يتزعزع).**

ويعطي الأرض المقدسة (القدس) طابعاً إيمانياً يؤكد شرعيتها العربية يقول:**(إن التراب الوطني والقومي ، يعتبر لدينا في منزلة الوادي المقدس طوى الذي كلَّم فيه الله موسى ﷺ).**

(.. يجب ألا يخطئ أحد تقدير الأهمية والإجلال اللذين نكنهما للقدس نحن معشر المسيحيين والمسلمين)

ما الذي يمكن أن يحدثه الخطاب الديني في الخطاب السياسي؟

الخطاب الديني له قوة استثنائية مستمدة من التقدير الاستثنائي الذي يعطيه المتدينون للمصدر الذي يستند إليه وهو "الله" أو الإله .وهذه القوة لها تأثير ــ ربما كان أكبر ــ على من لا يؤمنون بالخطاب أيضاً .

إضافة إلى أن الخطابات الدينية غالباً ما تكتسب حصانة ضد أشكال المخالفة أو المقاومة وقدرة على السيطرة والهيمنة خاصةً في العالم العربي. فنفاذ رجل السياسة إلى الخطاب الديني يمثل أداةً لتعزيز قوته وقوة خطابه.

٢ – المفردات التي تنتمي إلى الدلالة الدينية .

شاعت في الخطبة كثير من المفردات التي تمثل معجماً دينياً مثل تكرار لفظ الجلالة ، واستخدام تعبيرات اصطلاحية دينية شائعة مثل: **(العصمة لله وحده ، لماذا لا نؤمن بحكمة الخالق ، بإذن الله ، أتوجه بندائي من هذا المنبر.....)** .

بل واستخدم فقرات دينية كاملة مثل:**(وكلنا على هذه الأرض، أرض الله،كلنا مسلمين ومسيحيين ويهود، نعبد الله، ولا نشرك به أحداً ، وتعاليم الله ووصاياه ، هي حب وصدق وطهارة وسلام .)،(إن دور العبادة،الإسلامية والمسيحية ليست مجرد أماكن لأداء الفرائض والشعائر...)،...(قبل أن أصل إلى هذا المكان، توجهت بكل نبضة في قلبي ، وبكل خلجة في ضميري، إلى الله ﷻ وأنا أؤدي صلاة العيد في المسجد الأقصى ، وأنا أزور كنيسة القيامة ، توجهت إلى الله ﷻ بالدعاء أن يلهمني القوة ، وأن يؤكد يقين إيماني بأن تحقق هذه الزيارة أهدافها...)**

ــ بالإضافة إلى استخدام الدين أداةً للحِجاج كما يظهر من خلال نسبة الأفعال والنتائج إلى الله مثل:**(لا يعلم مداها إلا الله ـــ وليفعل الله بنا ــ بعد ذلك ما يشاء ـــ أمانة المسؤلية أمام الله ــ وإرادة الشعوب هي إرادة الله ــ ألا هل بلغت اللهم فاشهد)**

ــ وبناء الخطبة على نمط الخطبة الدينية ، فالخطبة هنا بدأت بافتتاحٍ سياسي**(السيد الرئيس أيها السيدات والسادة..)** ولكن بعد سطر واحد من إلقاء

الخطبة أخذت بداية دينية فقال:(..**وحين أبدأ حديثي أقول: السلام عليكم ورحمة الله، والسلام لنا جميعاً ، بإذن الله)** وختام الخطبة بآيات من سورة آل عمران.

بل وختام كل مقالات الخطبة بالطابع الديني فيما عدا المقال الثالث والرابع لما فيه من الحقائق المنطقية المقررة التي لا تقبل الشك .

ــ كذلك محاكاة البناء السردي لبعض القصص القرآني، وهو ما ظهر من خلال استخدام تقنيات الحكي الشعبي الديني وتوظيفه لخدمة الغرض السياسي في قوله:(**ولكي نتكلم بوضوح ، فإن أرضنا لا تقبل المساومة، وليست عرضة للجدل ، إن التراب الوطني والقومي ، يعتبر لدينا في منزلة الوادي المقدس طوى،الذي كلم فيه الله موسى** عليه السلام...)

ومن يقرأ الخطبة يشعر بأنها ذات طابع ديني مهيمن، نابعاً عن فكرة الخطبة الأساسية وهي السلام .[١]﴿ **وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ** ﴾ ... الآية﴾ [٢].

ويمكن رصد خطوات أخرى أبعد فيما يتعلق باستغلال الدلالات الدينية، بمعنى يخص شخص الرئيس السادات ،منها استخدام الإعلام المصري لقب (الرئيس المؤمن) وهو لقب أطلقته عليه وسائل الإعلام ــ وينطوي اللقب على إجمال صفات الرئيس في صفة واحدة (المؤمن) .

ــ كذلك مع إعلانه أنه يسعى لتأسيس "دولة العلم والإيمان" تغير الاسم الذي تدعوه به المؤسسة الإعلامية الحكومية، والاسم الذي يوقع به الرئيس نفسه

---

(١) تذكر هالة مصطفى (ص٢٨١) أن عدد خطب السادات في المناسبات الدينية وصل إلى خمس خطب في عام واحد وهو عام ١٩٧٧م،هذا العدد يمثل ما نسبته١٠% من مجموع ٤٨ خطبة ألقاها السادات في مصر في هذا العام . يراجع ــ النظام السياسي والمعارضة الإسلامية في مصر ــ مركز المحروسة للنشر ــ القاهرة .

(٢) سورة يونس آية :٢٥.

على قرارات الدولة ليصبح "محمد أنور السادات". ويذكر غالي شكري أنه "بعد أن كان الناس يعرفونه باسم أنور السادات أصبح "محمد أنور السادات" [١].

ويذكر الزيات أن السادات قد أوحى للبعض بأن يطلقوا عليه لقب (سادس الخلفاء الراشدين)[٢].

وهو فعل دال في المقام الأول على محاولة إضفاء طابع ديني "مقدس" على شخصية الحاكم وحكمه .

هذا إلى جانب أشكال رمزية معروفة عن السادات منها "زبيبة الصلاة" في وجهه ــ والرداء "العباءة" . والأدوات المحملة بالقيم الدينية "المسبحة" والأفعال الرمزية "الصلاة" .وأخيراً خطاب ديني في بعض المناسبات وخطاب سياسي يتضافر مع الخطاب الديني .

ويرى عبد العليم محمد أن المرجع الديني في الخطاب الساداتي سعى إلى تحقيق هدفين أساسيين:

أولهما :خلق مناخ مؤثر على الصعيد الأيدولوجي والفكري والرمزي، يمكن الجماعات الإسلامية من تنفيذ الدور المرسوم لها.....

وثانيهما:استثمار الدين وروح التدين العميق لدى المصريين بشكل عام لتكريس طاعة الحاكم وتبرير سياساته ، وإنجاز تعبئة جماهيرية عاطفية وراء الرئيس "المؤمن"والحيلولة دون نقد سياساته والاعتراض عليها ومنحها طابعاً(مقدساً)[٣].

---

(١) أنظر:غالي شكري ــ المثقفون والسلطة في مصر،أخبار اليوم،مصر.ط١ ١٩٧٨م،ص ٢٠٦.

(٢) أنظر: محمد عبد السلام الزيات ص ١٤٥،السادات:القناع والحقيقة. كتاب الأهالي القاهرة.

(٣) عبد العليم محمد ، الخطاب الساداتي ط: ١٩٩٠ م ، مرجع سابق ص ١٤٥ .

وأعتقد أن الطريقة التي تشكلت بها خطبة السلام (في إسرائيل) أسهمت بفاعلية في تحقيق أهدافها من خلال إنتاج خطاب سياسي يتضافر مع الحكي الشعبي الديني، والخطبة الدينية حيناً، والنص المقدس الإلهي حيناً آخر .

*** الدين والترويج للسلام مع إسرائيل:**

أشار عبد العليم محمد إلى دور المرجع الديني ، للخطاب الساداتي في تعزيز قبول أفراد الشعب لاختيار الصلح المنفرد مع إسرائيل ومظاهره ؛ يقول:

(وفي خطاب السلام الساداتي يعيد السادات إنتاج دلالة المرجع الديني (..) بقبول التعايش مع إسرائيل والاعتراف بها ؛ أي الاعتراف باغتصابها للوطن الفلسطيني، والتغطية على حقيقته.. الأسباب التي مهدت لزيارة القدس، فالسلام مستوحى من" الله " والدين أيَّاً كان ، فهو ليس من اختيار الحلف الطبقي الحاكم...)[١].

ولا يخفى أن الخطاب الديني يحدث دوراً فعالاً في نقد المعارضين للمشروع في الداخل والخارج[٢].

الدين والسياسة في خطبة السادات:

---

(١) السابق: ص ١٤٧.

(٢) قرن استخدام الخطاب الديني في تبرير مشروع الصلح مع إسرائيل بإصدار فتاوى من رجال الدين المصريين الرسميين تضفي شرعية دينية عليه. فبعد توقيع اتفاقيتي كامب ديفيد أصدر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق مفتي جمهورية مصر العربية في ذلك الوقت بياناً بعنوان:"بيان دار الإفتاء المصرية عن اتفاقية السلام مع إسرائيل" (أنظر: نبيل عبد الفتاح ــ المصحف والسيف: صراع الدين والدولة في مصر . مكتبة مدبولي ــ القاهرة ط ١٩٨٤م .

تكشف الدراسة السابقة أن المزج بين الخطابين الديني والسياسي في هذه الخطبة يستهدف استلهام قيمة إيجابية وهى السلام – العدالة– مقاومة الظلم – عدم الخضوع إلا لله، هذا من ناحية النص.

ويستهدف من ناحية أخرى تقوية سلطة الحاكم في مواجهة مخالفيه، وتعزيز قدرته على إسكات المعارض ، وتقييد المقاوم .

تعليق :

قرارات السادات السياسية خاصة ما يخص السلام مع إسرائيل ليست مبررة فحسب ، بل يعد الدين عنصراً مهماً من عناصر تشكليها .

والدراسة من ثَمَّ تتبنى وجهة نظرٍ ترى في النزعة الدينية السائدة في الخطبة ، وما تحمل من قيم إنسانية، مسألة شخصية طبيعية، وأنها تصدر عن تدين عميق حقيقي،وليست سلوكاً ذا وظائف سياسية ، كما تلمح الخطبة من طرف خفى إلى أن اختيار إقامة الصلح مع إسرائيل كان منسجماً مع " التدين العميق " للسادات ومتأثراً به.

٢– القيم الإنسانية في الخطبة :

تنقسم هذه الخطبة في مضمونها إلى قسمين :

قسم إنساني : يعد تعبيراً عما تحسه النفس ويدركه الفؤاد ويعيه القلب .

وقسم مادي : يخضع خضوعا مطلقا لحسابات التفكير ، وقياسات المنطق ، والمقررات الدولية السياسية .

أما القسم الإنسانى في الخطبة : فقد احتوى على العديد من القيم الإنسانية .

فمن يقرأ الخطبة يدرك في بدايتها أن السادات صاحب قرار السلام (وصرح بذلك في النداء الأول والثاني والأخير) وأنه وقع تحت تأثير هذا الموضوع وهو السلام ، الذي فرض نفسه عليه، لظروف إنسانية وسياسية .

جعل السادات من نفسه مرآة ومن صفحة قلبه المشرقة إحساساً يندفع ولا يتبلد تجاه (السلام) الذي وقع تحت مؤثراته، وأودعه دفقاته الشعورية والبيانية.

أما من حيث غاية السادات من وراء هذه (القضية ــ السلام) والوسائل التى سلكها، واستعان بها لبلوغ هذه الغاية، ومدى التوفيق الذي حالفه ، فهو يتمثل في أمورٍ عدة :

أولها:مجموع ما في الخطبة من قوى الفكر،وسداد الرأى، ونفاذ البصيرة،وجنوح العاطفة، فهذه متكاملة"هي التي تجعل اللفظة المفردة في ذهنه معنىً تاماً ، وتحول الجملة القصيرة إلى قصة وتنتهى باللمحة السريعة إلى كشفٍ عن حقيقة(١) .

ثانياً:القيم التى آمن بها السادات وعمل على تأصيلها في الخطبة، ونفذ إلى بواطنها،واستوحى معانيها،حتى صارت نموذجاً إنسانياً يضرب به المثل في فيض الإحساس .

ولا شك أن المسؤلين وأصحاب القرارات لهم دور مهم في بناء القيم الإنسانية ، في سلسلة محكمة الحلقات .

والقيم الإنسانية التى نعنيها،هى التى لا غنى للإنسانية عنها،وهى الحقائق الكبرى الخالدة"التى يكتب فيها المصلحون الاجتماعيون،ويكتب فيها القصاصون والمسرحيون وأصحاب النصائح الملهمة،والنظرات الدقيقة المحكمة،ويكتب فيها الفلاسفة، وينظم فيها الشعراء..."(٢) .

والقيم الإنسانية هى الحق والخير والحب والجمال... ،. وفي ضوئها، سجل السادات خطبته المؤثرة عن السلام .

---

(١) مصطفى صادق الرافعى:وحى العلم: ج١ص١٦مكتبة الأسرة القاهرة ٢٠٠٢م.

(٢) انظر: الشعر وبناء القيم الإنسانية د/محمود محمد لبدة ــ حولية مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة العدد الأول ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م ص١٣٣ .

وتسجيل القيم الإنسانية يعنى:"أن تخرج الحقيقة مضافاً إليها الفن، ويجئ التعبير مزيداً فيه الجمال، وتتمثل الطبيعة الجامدة خارجة من نفس حية ، ويظهر الكلام وفيه رقة حياة القلب .. وتلبس الشهوات الإنسانية شكلها المهذب، لتكون بسبب من تقرير المثل الأعلى، الذي هو السر في ثورة الخالد من الإنسان على الفاني، والذي هو الغاية الأخيرة من الأدب، والفن معاً "(١).

أما ما عدا ذلك فهو من قبيل النقل الظاهر أو السطحية الشعورية المشتركة بين الناس جميعاً.

وإذا نظرنا إلى خطبة السادات خاصة في النداء الثاني والثالث .

نرى هذه القيم مجتمعة(الحق والخير والحب ...) في عرضه لقضية السلام.

فنرى حقيقة الحب في الشعور الإنسانى الصحيح ، الذي يهتز لآلام البشرية وويلاتها. والحب يرتفع عن الواقع المنحط لمجتمع تحكمه الصراعات والأهواء والمصالح .

ونرى الحب في رسالته العظيمة التي تسعد الأجيال ، وهذا ما أعطى الخطبة معنى البقاء .

فحين يوجه السادات نداءه إلى كل نفس ذاقت مرارة الحرب وآلامه، فيقول:"**فيا كلَّ رجل وامرأة وطفل في إسرائيل ، شجعوا قيادتكم على نضال السلام ...)** إلى قوله : **(اجعلوا الأمل دستور عمل ونضال ...).**

ثم يتوجه بهذا النداء الإنسانى" فيقول:**(إن الأطفال الأبرياء ، الذين يفقدون رعاية الأباء وعطفهم هم هم أطفالنا جميعاً على أرض العرب، أو في إسرائيل ، لهم علينا المسؤلية الكبري في أن نوفر لهم الحاضر الهانئ والغد الجميل..)**

---

(١) الرافعى ، وحى العلم ج٣ ص٢١٣ ط: ٢٠٠٢م القاهرة ــ مكتبة الأسرة .

وتجلى ذلك واضحاً في عبارات وكلمات كثيرة تفيض عطفاً وحباً منها:

(بالروح التي حدت بي على القدوم إليكم اليوم ــ أحبو السلام ــ نرحب بأن تعيشوا بيننا ــ لماذا لا نمد أيدينا ، بصدق وإيمان وإخلاص ــ لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين ــ روح المودة والحب والتسامح هذه هى مصر ...).

إنها القضية الأولى والحب المستفيض والشفقة العارمة ، التى تصور أهمية السلام .

وهكذا طال نفس السادات في حديثه عن قيمة (الحب والخير) التى تمثل السلام في أكثر من (٧٠) موضعاً ما بين كلمات وعبارات ... كلها من ذوب قلبه ، صادقاً مع نفسه ، بل وقرن هذا الصدق النفسي بصدق فني في أداء الخطبة وأسلوبها(١).

فقد استطاع السادات تعميق إحساس المستمع والقارئ بالقضية من غير مبالغة أو تضليل، وكلها تدور في فلك هذه القيم الإنسانية قيمة السلام التى هى اختصار لمضمون(الحق والخير والحب والجمال...)

(وهى الـمُثل التى لا تتغير باختلاف المكان أو الزمان أو الطبقة الاجتماعية)(٢).

قيمة الحق:

تجلت هذه القيمة في القسم المادي من الخطبة ،الذي يخضع خضوعاً مطلقاً للحسابات والتفكير والمقررات الدولية السياسية. التى وضعها السادات أمام المجتمع الدولي ، فيما يخص قضية القدس ، وفلسطين ، وشروط السلام العادل ، والحق العربي .

---

(١) لاحظ مقاطع الڤيديو في عرض الخطبة . وما فيها من إشارات باليد وتعبيرات بالوجه واستجابة الجماهير بالصمت والاستماع والتصفيق .

(٢) نبيل راغب ــ المذاهب الأدبية: ص١٤ .

لقد أصل السادات فكره حتى لا يترك فرصه للتشويش أو البلبلة الدولية، وحتى تسقط جميع النقائض.

فعن القدس يقول مؤكداً الحق العربى: **(هناك أرض عربية احتلتها ، ولا تزال تحتلها إسرائيل بالقوة المسلحة ، ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها ، بما فيها القدس المحتلة)**

..(وليس من المقبول أن يفكر أحد في الوضع الخاص لمدينة القدس ، في إطار الضم والتوسع ، وإنما يجب أن تكون مدينة حرة...)

(... فليس هناك سلام يستقيم أو يبنى مع احتلال أرض الغير).

(...إن الانسحاب الكامل من الأرض المحتلة بعد ١٩٦٧ ، أمر بديهى ، لا نقبل فيه الجدل ...).

وعن فلسطين يقول :**(إن قضية شعب فلسطين ، وحقوق شعب فلسطين المشروعة ، لم تعد اليوم موضوع تجاهل ... إنها واقع استقبله المجتمع الدولى ... بالتأييد والمساندة والاعتراف ، في مواثيق دولية وبيانات رسمية، ... أقول حتى الولايات المتحدة ، اختارت أن تواجه الحقيقة والواقع، وأن تعترف بأن للشعب الفلسطيني حقوقاً مشروعة)** .

إلى آخر النداء الرابع .

يعلم السادات أنه يخاطب نفساً متكبرة ، لها حماقتها وهوسها، تأخذ ما يتفق معها ثم تقرر ما يكون لصالحها . بهواها المنحرف وكبرها المزيف ورأيها المعاند ، فهم يهود وقد عرفَّنا القرآن الكريم طبيعة نفوسهم.

وقد تقرر لدينا أن الشعب الإسرائيلى متقلب، ليس له طبيعة ثابته تثبت على الخير .

ولذلك لا يزال السادات في خطبته يردف العباره تلو الأخرى، في جو من المبدأ الثابت، والرأى القوي، الذي يصور الحقائق ، ويدافع عن الشعب الفلسطيني المهضوم حقه .

مما يثبت أن هذه التجربة السياسية تجربة صادقة، انغمس فيها السادات، وتمثلها وأبان عنها، على نحوٍ ينقلها من الذاتية إلى الموضوعية.

بل وإلى العالم كله، حتى أصبح رجل الحب والسلام ، فاستحق أعظم الجوائز العالمية (نوبل) .

وهو في حديثه عن قيمة (الحق) في ظل دعوته للسلام، ملأ كلمات الخطبة بالإحساس ، والطاقة ، والصدق ، حتى نفذت إلى الحواس .

ــ وهناك العديد من القيم والمبادئ التى انطبعت بها الخطبة ومنها المساواة والعدل. وما مضى من عبارات ونماذج يؤكد ذلك .

وعقدة النقص والتطرف اليهودي ــ الذي يظن أنه فوق البشر استكباراً وعلواً وأنه شعب الله المختار ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ. . . ﴾[1] هى التى جعلت السادات يؤكد على مبدأ المساواة، فتنتبه عقولهم وتستيقن أنفسهم بهذا المبدأ ، حتى يقبلوا فكرة السلام .

وحاول السادات من خلال خطبته ، أن يعيد الأذهان إلى رحاب الفكر الإنساني الصحيح ، من أجل استيقاظ البشرية، ليعود للشرق العربى الأوسط أمنه واستقراره ، ولينعم الإنسان الذي كرمه خالقه ، بالحرية والإخاء .

ففى النداء الأول يقول : **(وكلنا على هذه الأرض أرض الله ، كلنا مسلمين ومسيحين ويهود نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ...)**

وفي ندائه الأخير يقول: **(أحمل إليكم رساله السلام ، رسالة شعب مصر ، الذي لا يعرف التعصب..)**

والآية التى وفق في اختيارها ليختم بها الخطبة ، وأحاديثه عن قضية القدس وفلسطين ، وغيرها كثير، مما تؤكد مبدأ حفظ الحقوق والواجبات والمساواة بين الناس، وإلغاء التمايز والاستعلاء ، حتى يقوم الشعب الإسرائيلي

---

(١) سورة المائدة من الآية : ١٨ .

وغيره من الشعوب نفسها ، تقويماً سليماً بميزان الاعتدال، دون تفرقة بينهم بسبب الجنس والعنصر ... أو غير ذلك مما يدعو إلى التفاخر والتعاظم .

ولذلك أشار إلى إنسانية الشعوب، بكل الديانات، وأن الطبيعة الإنسانية واحدة (الإنسان الذي خلقه الله) النداء الأول ــ فيجب أن تكون المعاملة الإنسانية واحدة وإلا كانت تفرقة من غير مسوغ .

وهذا ما تنبثق عنه عقيدة الإسلام الأصلية في قوله تعالى ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١).

فدائرة الأخوة الإنسانية اتسعت لتشمل كل شئون الحياه في ظل التعامل السلمى العادل يقول:**(علينا أن نعلي سلطان الإنسانية ، بكل قوة القيم والمبادئ، التي تعلي مكانة الإنسان)** .

فالمساواة والعدل، بين جميع البشر مبدأ هام من مبادئ الإسلام، والإسلام وضع أسسها الرئيسية من العقيدة ، والسلوك ، والمعاملات تجتمع عليها الأمم والشعوب ، وهى (العدل ــ الحرية ــ السلام) . فهو قانون الله الذي تصلح به الحياه .

يقول في النداء السادس يخاطب إسرائيل: **(قدموا للعالم صورة الإنسان الجديد ، ... وأن ما هو قادم هو البداية الجديدة للحياة الجديدة ، حياة الحب والخير والحرية والسلام)** إلى قوله: **(اجعلوا الأنشودة حقيقة تعيش وتثمر اجعلوا الأمل دستور عمل ونضال)** .

كل هذه النغمات المختلفة في هذه القيم ، شكلت إيقاعاً جميلاً يمثل النفس البشرية ، حين ترضى وتحب، وحين تغصب وتثور من أجل السلام .

---

(١) سورة الممتحنة آية : ٨ .

ووفق السادات في إبراز هذه القيم والمبادئ من خلال تقليبها في معاني الحرب والدمار والعصبيات ... والحرمان والموت والفقد) .

فاستطاع أن يشعرنا بمعنى السلام ،حين تحدث عن هذه الأشياء.

فالنفس البشرية تشعر بطعم السلام ، إذا وجد الحرب، وبطعم السعادة إذا وجد الشقاء ، وبجلال الحق إذا علا صوت الباطل .

وهذا ما أعطى الخطبة قيمة ونجاحاً .

٣- عرض المحتوى والمضمون:

الناظر في المقالات التى جمعتها الخطبة ــ وهى حوالى سبعة مقالات ، كل مقال بدأ بنداء ــ أيها السيدات والسادة ــ يتبين أنها جمعياً مقالات أو نداءات سياسية ــ إنسانية ــ أخلاقية ، تدور حول عنوان واحد وهو(السلام) .

والمتأمل في الخطبة يلاحظ أن مضمون كل نداء، يكشف عن فكرة ويعالج جانباً، والنداءات والمقاطع يكمل بتمامها تصوير السلام الدائم العادل ... وذلك على النحو التالى :

المقال الأول

(عرض فكرة السلام ، وانفراده باتخاذ القرار).

بدأ السادات الخطبة بتعبير سياسى جاد يناسب المقام **(أيها السيدات والسادة)**؛ لأنه موجه إلى فئة خاصة في مجتمع غير مصرى، وغير مسلم .

وبدأ بتحية رئيس مجلس الشعب الإسرائيل .. بالشكر وتحية الحاضرين (بالسلام عليكم ورحمة الله) .

وجاءت المقدمة في حوالى سبعة أسطر ، مقدمة موفقه أشبه بالحكمة المليئة بتجارب الحياة المؤلمة ، نتيجة الصراعات والحروب، التي تقضي في النهاية على أرقى ما خلقه الله (الإنسان) والنداء أو المقال الأول في الخطبة مكون من جزأين الجزء الأول : يعتبر الغرض الأساس منها ، والذي دار في خدمته باقي الخطاب، (رسالة السلام) وتخلل هذا الجزء فكرة تؤكد ضرورة السلام ، وهى حديثه عن تجربة الحرب والدمار ونتيجتها يقول: **(... وبين أنقاض ما بنى الإنسان ، وبين أشلاء الضحايا من بني الإنسان ، فلا غالب ولا مغلوب ، بل إن المغلوب الحقيقى هو الإنسان..)**

(... وقد جئت إليكم اليوم على قدمين ثابتتين ، لكي نبني حياة جديدة، لكى نقيم السلام ...)

وهكذا أوضحت مقدمة الخطبة سبب الزيارة والغرض منها .

ثم يأتى الجزء الثاني:وهو انفراد السادات بقرار الزيارة وعرضه لقضية السلام .

وجاء ذلك في حوالى سبعة عشر سطراً.كلها تحت هذا المضمون.

يقول:**(وإننى التمس العذر لكل من استقبل قراري ، عندما أعلنته للعالم كله أمام مجلس الشعب المصري ، بالدهشة ، بل الذهول . بل ...)**

(... إننى التمس العذر لكل من أذهله القرار ...)

(كما أنني ، كما سبق أن أعلنت من قبل لم أتداول هذا القرار مع أحد من زملائى ، وإخوتى، ورؤساء الدول العربية ، أو دول المواجهة. ولقد اعترض من اتصل بي منهم ، بعد إعلان القرار ، ...) .

فالسادات صاحب قرار السفر إلى إسرائيل ــ قرار السلام ــ قرار شق الصف العربى فيما بعد .

ويعتبر صنع القرار ، فناً خالصاً أو موهبة تكتسب عبر فترات زمنية طويلة ، من الخبرة والتعلم بالمحاولة والخطأ(١).

وبذلك تحمل السادات مسئولية فشل أو نجاح قراره وبمفرده،في مواقفه المختلفة والاستراتيجية.

وأتاح النداء الأول مساحةً فسيحة أعلن السادات فيها مباشرةً أنه سيحمل " الأمانة وسيؤدي " الرسالة " التي اختار حملها ، اختياراً فردياً ، لضرورةٍ قوميةٍ أو إلهاماً إلاهياً(٢).

والخطبة من بدايتها إلى النهاية، توضح أن صنع القرار الساداتي عبارة عن عملية إنسانية واعية، اختار فيها بديلاً معيناً (السلام) من بين عدة بدائل (لا يعلم مداها إلا الله) .

---

(١) إعداد محمد سعد محمد . أساليب القيادة وضع القرار: ص٥٢ القاهرة٢٠١٠ ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع .

(٢) يعرف القرار ــ بوجه عام ــ بأنه موقف أو رأى أو حكم تم التوصل إليه ، بعد مراعاة عدد من الاعتبارات،أو بوصفه التعبير الصريح عن عملية إصدار الأحكام في حين يرى بعض الباحثين أن القرار هو نقطة في عملية مستمرة لتقييم البدائل المتاحة،لتحقق هدف معين،ويمكن لصانع القرار عند هذه النقطة، اختيار بديل محدد من هذه البدائل في ضوء ما يتسم به هذا البديل من خصائص مرغوبة تؤدى إلى تحقيق الهدف المنشود. المصدر نفسه ص٦٤.

" إن صنع القرار بوصفه عملية تتضمن أكثر من مجرد الاختيار النهائي لبديل معين ، إذ يسبق ذلك ــ وفي كثير من الأحيان ــ خطوات من التفكير والتأمل والمقارنة وإصدار الأحكام"(١).

يقول: **(وقد اقتنعت بعد تفكير طويل ، أن أمانة المسؤولية أمام الله ، وأمام الشعب تفرض علىَّ أن أذهب إلى آخر مكان في العالم ، بل أن أحضر إلى بيت المقدس لأخاطب أعضاء الكنيست...، بكل الحقائق التي تعتمل في نفسي ، وأترككم بعد ذلك،لكى تقرروا بأنفسكم . وليفعل الله بنا بعد ذلك ما يشاء).**

وبذلك انتهى المقال الأول من الخطبة بعد أن وضع قراره في دائرة الحريات الإسرائيلية ليقينه بأن الله سيفعل ما يشاء (المشيئة) مفهوم إسلامي يؤكد المرجعية الدينية في خطاب السادات ، وكأنه يضع بذلك قيداً أو حداً للاعتراض والنقد ويظهر من جانب آخر عمق تدين السادات.

---

(١) نفسه ص٧٠ .

المقال الثاني

مسئولية القادة تجاه شعوبهم

في النداء الثاني صدَّر السادات كلامه بمقدمة تحدث فيها عن واجب أصحاب الفكر والحكمة تجاه شعوبهم ، ودورهم في الخروج بهم من تعقيدات الماضى إلى آفاق المستقبل ... فقال :

(إن في حياة الأمم والشعوب لحظات ، يتعين فيها على هؤلاء الذين يتصفون بالحكمة والرؤية الثاقبة ، أن ينظروا إلى ما وراء الماضى ، يتعقيداته ورواسبه، من أجل انطلاقة جسورة نحو آفاق جديده . .

وهؤلاء الذين يتحملون ، مثلنا ، تلك المسؤولية الملقاة على عاتقنا ، هم أول من يجب أن تتوافر لديهم الشجاعة لاتخاذ القرارات المصيرية التى تتناسب مع جلال الموقف . ويجب أن نرتفع جمعياً فوق صور التعصب ، وفوق خداع النفس وفوق نظريات التفوق البالية...)

وهنا استهل السادات بحديث عام ،يوضح أن اتخاذ القرارات واجب من يتحمل المسئولية .

وكأنه يقول : لقد اتخذت قراري ، والآن جاء دوركم لاتخاذ نفس القرار، فقرار السلام مسئولية كل مسئول، من أجل حياة الشعبين العربى والإسرائيلى .

وأكد هذه الفكرة بعدة مفاهيم، وقيم عقلانية وإنسانية ،خاطب بها الطبقة المسؤلة .

ولم يفته في المقال نفسه أن يعرض صورة الماضي الأليم، والمستقبل المجهول مع الحرب وصورة الحاضر السعيد، والغد المشرق مع السلام . لإقناع النفس بأهمية السلام ،التى يجب من أجلها اتخاذ القرار .

ويعمل السادات على إقناع متلقيه ، بأن الإنسان بفضل حريته ، يستطيع أن يصل إلى أعلى المنازل عن طريق قراراته، التى يتحكم فيها العقل والضمير الأخلاقي، الذي يرتفع بصاحبه فوق الأهواء ، وصور المغالاة والتعصب.

ولذلك عقب بحديثه عن جانب إنساني مؤثر، يظهر ضرورة السلام فقال: **(إن الزوجة التي تترمل،هى إنسانة،من حقها أن تعيش في أسرة سعيدة)، (..إن الأطفال الأبرياء،الذين يفقدون رعاية الآباء وعطفهم هم أطفالنا جميعاً.. لهم علينا المسئولية الكبرى في أن نوفر لهم الحاضر الهانئ،والغد الجميل..)**

إلى قوله: (.. **من أجل كل هذا اتخذت قراري أن أحضر إليكم ، رغم كل المحاذير** ...) .

ويشير السادات إلى أن أمر السلام، يتعلق بالبشرية ككل وليس بفئة معينة من الناس، ويؤكد ذلك قوله في الفقرة السابقة (.. **أُحَمِّلُ نفس المسئولية لكل إنسان في العالم** ..) .

وهنا يبرز السادات قضية أخلاقية من منظور قوله تعالى: ﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً** ﴾(١).

وهذا يعنى أن مرتكب هذا الجرم قد محى الإنسانية من نفسه، ودمرها في داخله،وعلى العكس من ذلك، فإن من يقدم الخير لفرد واحد من أفراد الإنسانية، فكأنه قدم الخير للإنسانية كلها ، ومن هنا يقول القرآن مكملاً الآية السابقة: ﴿ **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** ﴾(٢).

فإذا أدركنا على هذا النحو القيمة الفردية لكل حياة إنسانية، فإننا نكون قد اتخذنا الموقف الذي يدعم السلام بين الناس"

ذلك لأننا ندرك عندئذ، أن الآخر مهم بالنسبة لنا تماماً ، مثل أنفسنا، فالسادات يؤكد مسؤلية القيادة تجاه العرب وبالتالى عن الآخرين، بل وعن عالمنا الذي نعيش فيه ؛ لأننا جمعياً وبنفس القدر جزء من الخلق الواحد .

---

(١) سور المائدة من الآية :٣٢ .

(٢) سور المائدة من الآية :٣٢ .

وبالتالى فالأطفال التى تفقد الآباء، والنساء التي ترمل، والأرواح التـــي تزهق ، هم جميعاً جزء من هذا الخلق الواحد، الذي نحمل المسؤلية تجاهه .

وبكل هذه الدوافع القيادية المسؤلة، دعى السادات إلى السلام منذ أعوام ، منذ أن بدأ الصراع العربي الإسرائيلي، منذ ١٩٧١م ، والآن يدعو مرة أخـــرى **(بعقلٍ مفتوحٍ وقلبٍ مفتوحٍ وإرادةٍ واعيةٍ)** إلى سلامٍ دائمٍ وعادلٍ.

ثم يختم المقال بالمرجعية الدينية، فيربط الدعوة إلى السلام بمناسبة عيد الأضحى المبارك فيقول:**(ولعل هذه المصادفة ، تحمل معنى جديداً في نفوسنا جميعاً، لعله يصبح أملاً حقيقياً في تباشير الأمن والأمان والسلام).**

المقال الثالث

(دعوة للمصارحة وعرض الحقائق)

استهل السادات نداءه بعبارة مضيئة كاشفة، هى علاج لكل المشكلات، يكشف بها المستمع أوهام النفس وأباطيلها، ويظهر حقيقة الأشياء عبارة(**دعونا نتصارح ...)**

هذه بداية المقال ، ثم أخذ هذا المفهوم يزداد عمقاً وتأثيراً الفقرة تلو الأخرى،يقول: **(بالكلمة المستقيمة ، والفكرة الواضحة التى لا تحمل أى التواء، دعونا نتصارح اليوم ، والعالم كله، بغربه وشرقه ، يتابع هذه اللحظات الفريدة)** .

والسادات بهذا المنهج الأخلاقى ، يغرس بذور القيم ، وكأنه يمرن الطرف الآخر (إسرائيل) هذا الكيان الذي اعتاد التحريف والتزييف، والفتن والأساليب الملتوية ، فكأنه يرفع من نفوسهم غشاء الأهواء، والطمع والسيطرة ، وعدوان الرغبات.

ثم أخذ السادات يبين بأسلوب منطقي، معنى المصارحة ... ويؤكد عليها، حيث وضعها في دائرة الاهتمام العالمي والتاريخي والزمني.

حين قال:(**العالم يتابع هذه اللحظات الفريدة ، التي يمكن أن تكون نقطة تحول جذرى في مسار التاريخ ..)** .

ثم نهض يفند تلك المصارحة ،من خلال إمكانية تحقيق السلام الدائم العادل، في الفقرات التالية، من خلال خمس حقائق :

فمرة اعتمد على عرض حقائق منطقية بقانون أخلاقى، يقول: **(إنه لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين)** .

حقائق لا تعرف الالتواء والنفاق،وهو ما أطلق عليه(**لغة واحدة ، وسياسة واحدة ، ووجه واحد)**

ويعد هذا تطبيق سلوكي، لمعنى المصارحة التى بدأ بها .

ثم استرسل بعرض قانون رياضي[١](بصورة أخلاقية) يؤكد به فكرة المصارحة يقول في الحقيقة الثالثة :

(إن المواجهة المباشرة والخط المستقيم ، هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح) .

وبعد أن قدم السادات العديد من الوسائل، التى تمكن أصحاب القرار من الاقتناع بحقيقه السلام، وبين الموقف العربى العالمى، وانشغال الجميع تقريباً في المجتمع الدولى بقضية السلام، بقوله:**(إن دعوة السلام الدائم العادل المبني على احترام قرارات الأمم المتحدة، أصبحت اليوم دعوة ، العالم كله ، وأصبحت تعبيراً واضحاً، عن إرادة المجتمع الدولى سواء في العواصم الرسمية ، التي تضع السياسة وتتخذ القرار، أو على مستوى الرأي العام العالمي والشعبي)**.

وهذا يوضح أن الممارسة المسئولة للحقوق والواجبات، عن طريق الأفراد والجماعات والشعوب، من شأنها أن تدعم فرص السلام، وتهيئ المناخ الملائم للتعاون الدولي، وتؤثر في صنع القرار ...

أما الحقيقة الخامسة فعرضها بقوله:**(ولعلها أبرز الحقائق وأوضحها أن الأمة العربية لا تتحرك في سعيها من أجل السلام الدائم والعادل من موقع ضعف أو اهتزاز ؛ بل إنها على العكس تماماً ، تملك من مقومات القوة والاستقرار ما يجعل كلمتها نابعة من إرادة صادقة نحو السلام .. صادرة عن إدراك حضاري...)**

فالعرب بدافع دينهم الإلهى وحضارتهم ، يسعون إلى تحقيق السلام، لهم ولغيرهم، لا من ضعف أو اهتزاز ، أو إرادة مشوشة ؛ وإنما لأن العقيدة الدينية الإسلامية، تجعله واثقاً من العون الإلهي، ومن هنا يكون قادراً على تذليل الصعاب ، والانتصار على العقبات ، ويكون قادراً أيضاً على العمل الحضاري .

---

(١) أقرب مسافة بين نقطتين هو الخط المستقيم الواصل بينهما .

الأمر الذي يؤدى في النهاية إلى صنع السلام، الذي لا تعبث بـــه الشـــكوك، ولا تهزه سوء النوايا والمقاصد.

ثم عاد في الفقرة التالية ، إلى دائرة المصارحة ، التي تعد طوق النجـــاة لقضية السلام .

فالسادات في الحديث التالى اعتبر نفسه ، راعياً مؤتمناً على ما عهد إليه في مجال مسئوليته المصرية والعربية ، التي لا يمكن أن يتخلى عنها .

وهذا ما طرحه بقوله : **(إن واجب المصارحة يقتضى أن أقول لكم مـــا يلى:**

أولاً : إننى لم أجئ إليكم لكي أعقد اتفاقاً منفرداً بين مصر وإسرائيل ، ليس هذا وارداً في سياسة مصر...

ثانياً : إنني لم أجئ إليكم أسعى إلى سلام جزئي ... فليس هذا هو الحل الجذري ...

ويرتبط بهذا : أنني لم أجئ إليكم لكي نتفق على فض اشتباك ثالث في سيناء والجولان ...

لقد جئت إليكم نبني معاً السلام العادل حتى لا تراق نقطة دم واحدة من جسد عربى أو إسرائيلي) .

فالسادات هنا يبحث عن السلام لنفسه"مصر" وللآخرين " العـــرب" بـــل ولإسرائيل .

فالجميع يجب أن يشعروا بالسلام، الذي يحقق العدالة ، ويحقن الـــدماء ، هذا هو الهدف .

يقول:**(ومن أجل هذا أعلنت أنني مستعد لأن أذهب إلى آخر العالم...)**

أما الجزء الثانى من المقال فعن المصارحة النفسية :

فكأن السادات يؤكد أن الحرب الدفاعية، ضد العدو ليست هى نهاية الحرب، فالهدف الأسمى،محاربة العداوة في قلوب الأعداء، قال تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) .

وفي ضوء المصارحة النفسية ، التي تعطى عملية السلام قوة متدفقة، مستمدة من المصارحة ، وعرض كل الرواسب النفسية في الماضى، حتى لا يتطرق الشك إلى الطرف الآخر .

يقول سارداً بعض الممارسات السلوكية، من الطرفين المصري والإسرائيلي:(لقد كنا نرفضكم،وكانت لنا أسبابنا ودعوانا... نعم لقد كنا نرفض الاجتماع بكم في أى مكان...نعم لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخم ومنيع... ولكن تحطم ...ولكن بقي جدار آخر... يشكل حاجزاً نفسياً معقداً بيننا وبينكم ، حاجزاً من الشكوك ، حاجزاً من النفور...).

إن الصدق وحده هو الذي يهيئ السبيل إلى السلام ، فينظر المرء إلى ما هو أبعد من موطن أقدامه ، ويتسامى بفكره وعمله ، فإنه بذلك يفتح الطريق إلى السلام. ولا يصبح سجيناً لمواقف وماديات وسلبيات الآخر..

هذا الحديث السادتي عن المصارحة ودورها في تحقيق السلام، يشعرنا بالصدق والسلام الداخلي في أعماق نفسه، مما جعله يبذل كل طاقاته، وإمكاناته في سبيل هدف السلام ، ويتعالى فوق الصغائر.

فيدعو إلى الصراحة والوضوح ، ويعدد المواقف في جرأة وحرية، تعطي حافزاً قوياً ، وآفاقاً رحبة للتعاون المثمر ، بدون عوائق داخلية .

والسادات بذلك المنهج التعبيري ، ينبه إلى أنه إذا أردنا السلام، فلا يجوز أن نعيد الحياة من جديد إلى عداوات الماضي السحيق أو القريب،وما

---

(١) سورة الممتحنة آية : ٧ .

سببته من عقد مختلفة ، وعواقب وخيمة ، تتحملها الأجيال، وبدلاً من ذلك نتجه إلى بناء المستقبل بشجاعة وبفكر إيجابي ، من أجل العثور على فرص جديده ، وحلول بناءة ، تقيم صرح السلام، وتحمي الإنسانية ، وهذا هو السلام النفسي.

وانتقل السادات إلى عرض أطراف من التساؤلات المثالية، التي هي تجسيد للمبادئ الإنسانية وتطبيق لمبدأ العدالة والرحمة .

ثم أعقب يوثق كلامه بالحكمة والمثل وأورد بعضاً مما جاء في مزامير داود عليه السلام .

وهو كعادته يختم مقاله بالمرجعية الدينية ، فيقتنع المتلقي ويتجنب المعارضة بالنص المقدس .

المقال الرابع

(السلام القائم على العدل)

أو السلام العادل

بدأ السادات نداءه الثالث بقوله:(**دعونا نتصارح.....**) وهذا النداء استهله بقوله:(**الحق أقول لكم ....)** فالسادات في كل نداءاته يتحدث بمبدأ واحد هو الصدق، أهم صفات القائد وأساس القيادة الناجحة(المصداقية)[١]، وهذا ما جعل سيدنا محمداً **غ** أعظم قائد في العالم وهو الصادق الأمين، وقد ركز السادات في هذا المقال على(الحق العربي) فيما يخص قضية فلسطين والقدس:

فبدأ حديثه عن السلام بقوله:(**إن السلام لن يكون اسماً علي مسمى ما لم يكن قائماً على العدالة ...ولا يسوغ أن تطلبوا لأنفسكم ما تنكرونه على غيركم .... عليكم أن تتخلوا نهائياً ، عن أحلام الغزو، وأن تتخلوا أيضاً، عن الاعتقاد بأن القوة هي خير وسيلة للتعامل مع العرب... عليكم أن تستوعبوا جيداً دروس المواجهة بيننا وبينكم ، فلن يجديكم التوسع شيئاً... إن التراب الوطني والقومي يعتبر لدينا بمنزلة الوادي المقدس طوى.. ولا يملك أيٌّ منا ، ولا يقبل أن يتنازل عن شبر واحد منه ...**)

كلمات لا تقبل المساومة في زمان العزة، كلمات تمثل الممارسة المسئولة، تجاه الحق العربي وتهيئ المناخ للتعاون الدولي ، فأمر السلام لا يتعلق بمصر وحدها، بل الوطن العربي، وأرضه المحتلة، فالعدالة لا تتجزأ.فهناك حدود لإرادة السلام، ولكن ليس هناك حدود للعدل، ومن الظلم أن نتحدث عن السلام، والعدو يحتل
الأرض ويملك الأوطان .

---

(١) أجريت استفتاءات عالمية على أهم شروط القائد سنة ٢٠٠٧م وجاءت النتيجة بالاجتماع على أن الشرط الأول(المصداقية) راجع موقع قناة الرسالة ــ (برنامج علمتني الحياة)ج١حلقة بعنوان(القيادة).

فالأمر المؤسف أن أفعال العدو تسير في اتجاه مضاد للسلام ، ولا بد من وضع حد لهذه الانتهاكات، وأحلام الغزو، فالسلام الحقيقي يقتضي بذل الجهد لإزالة هذه الأطماع ، والربط الوثيق بين القول والفعل، فالحرب والعداوة والرغبة في التوسع على حساب الآخرين ، تطرد السلام، وتضيع فرصته .

وقد نجح السادات في وضع حدود للسلام، القائم على العدالة وعدم التعدي على حق الغير. فدروس التاريخ بينت لنا أن الحروب لا تستطيع أن تحل المشكلات، وربما تجعل حلها مستحيلاً .

وفي القسم التالي من المقال، وضع تصورات السلام مع إسرائيل وأنه من حيث المبدأ: على استعداد للتعاون مع مؤسسات السلام العالمية، التي تستطيع أن تبرهن على أنها تسعى إلى تحقيق العدالة، بطريقة لا تعرف التحيز يقول :

(.. ولسنا ننكر أن هناك قانوناً دولياً قائماً ، ولكن الأمر لا ينبغي أن يقف عند حد الإعلام عن ذلك، بل ينبغي أن ينفذ القانون على نحو علمي وعلى الجميع بلا استثناء).

ثم انتقل إلى حديثه عن قضية القدس الشريف فبدأ بقوله:**(هناك أرضٌ عربيةٌ احتلتها، ولا تزال تحتلها إسرائيل بالقوة المسلحة ، ونحن نصر على تحقيق الانسحاب بما فيها القدس العربية).**

وتناول وضع القدس الراهن، ومكانتها بالنسبة للمسلمين وكل الأديان... حتى قوله :**(ودعوني أقل لكم ، بلا أدنى تردد ، أنني لم أجئ إليكم تحت هذه القبة ، لكي أتقدم برجاء أن تجلو قواتكم من الأرض المحتلة. إن الانسحاب الكامل من الأرض المحتلة بعد ١٩٧٦ م ، أمر لابد منه.. فليس هناك سلام يستقيم أو يبنى مع احتلال أرض الغير).**

وهذا يمس بشكل مباشر وجذري مبدأ العدالة، فالسلام لا يمكن تحقيقه إلا إذا تـــم الاعتراف بحق الأرض والشعب العربي(١) .

ولقد عبرت عن ذلك المجتمعات الإسلامية، والدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، وغيرها من المنظمات غير الحكومية.

ومع ذلك لم يرتد اليهود ، بل ستبقى نفوسهم نزَّاعة للتطرف، حتى يأتى الحل الحاسم، والدواء الناجح، لاستعادة القدس بالجهاد إن شاء الله، وفي الظروف الحالية ، يبدوا أن ما قاله السادات في الخطاب في شأن قضية القدس،لا يتعـــدى تصريحات لتغطية ، لا تقدم ولا تؤخر .

---

(١) قضية القدس من أهم القضايا التى تستحوذ على اهتمام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وذلك لارتباطها من ناحية العقيدة والتاريخ بالأمة المسلمة ، حيث تؤكد وثائق التاريخ القدس مدينة عربية عريقة ، تبوأت منذ فجر التاريخ مكانه هامة، وإذا كانت هذه المدينة المقدسة قد تعرضت عبر التاريخ القديم، إلى غزوات.. كما تعرض القدس للغزاة قبل الإسلام، وبعده ، ولم يجرؤ الغزاة والمحتلون عبر التاريخ، على إحداث تغيير أو عدوان على معالم المدينة المقدسة وبنيتها إلا ما أحدث اليهود في هذا العصر فقد زعموا أن القدس مدينة عبرانية متجاهلين وثائق التاريخ التى تؤكد أن تاريخ العرب وأسلافهم في فلسطين يرجع إلى ما قبل ستة آلاف سنة ، وفق ما تؤكده الكشوف الأثرية والمراجع التاريخية .

وهذا يعنى أن الوجود العربى القديم في فلسطين، كان أسبق عن غرو العبرانيين بـــ٢٥٠سنة وهذا يدحض كل المزاعم التى تعلن ملكية الإسرائيليين للقدس وفلسطين.

ـــ لقد تدارس المجتمع الدولى وضع مدينة القدس وعروبتها عبر جلسات عديدة لمجلس الأمن الدولى ... وأصدر عدداً من القرارات بشأن هذه المدينة المقدسة وغيرها من الأرض العربية التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧م وكلها تؤكد أن القدس جزء من الأرض العربية ولا يجوز لإسرائيل إحداث أى تغيير فيها.- ينظر مجلة الحج سنة ٢٠٠٠م العدد ٥٥ المملكة العربية السعودية ص٥٠، ٥٢، ٥٣ ـــ الحق العربى والإسلامي في مدينة القدس وفق وثائق التاريخ وقرارات المجتمع الدولى بقلم الشيخ محمد بن ناصر العبودى.

وانتقل السادات بعد ذلك يتحدث عن قضية فلسطين ، وصرح بأنها جوهر المشكلة ، وعرض الحقوق والقوانين الدولية التي تؤكد حق شعب فلسطين في إقامة دولته، وإنه لا جدوى من خلق العقبات التى تأخر مسيرة السلام.

ثم انتقل ليعيد على الأسماع بعض القيم والمبادئ الإنسانية، التي تؤكد حق الشعب الفلسطيني، وبالتالي تشارك في صنع السلام. ثم أخذ يفند بنود لاتفاق سلام يعقد في جنيف .

ويعتبر هذا المقال هو جوهر الخطاب ولبه إذ تعرض فيه لأهم ثلاث قضايا قومية ــ قضية فلسطين ــ القدس ــ تصور لاتفاقية سلام مع إسرائيل ، والمقالات السابقة والتالية جاءت في خدمة هذا المضمون .

المقال الخامس

دعوة الشعب الإسرائيلى للمشاركة في تحقيق السلام

انتهى النداء السابق (المقال) بوضع تصور لاتفاقية السلام، وجاء هذا النداء؛ ليؤكد المعنى الحقيقى للسلام، فبدأ بقوله:(**إن السلام ليس توقيعا على سطور مكتوبة، بل إنه كتابة جديدة للتاريخ ... فالسلام في جوهره ، نضال جبار ضد كلِّ الأطماع والشهوات ، ولعل تجارب التاريخ القديم والحديث، تعلمنا جميعا أن الصواريخ ... لا يمكن أن تقيم الأمن ولكنها على العكس تحطم كل ما يبنيه الآخرون**) .

يقترب السادات في هذا المقال ، من وضع نهاية للخطبة تقريباً .

فهو مقال ملئ بالقيم الإنسانية، والمشاركة الوجدانية المخلصة، تحدث فيه باسم شعب مصر، الذي يبارك السلام وأبرز مثالية الإسلام الأخلاقية على المستوى الفردي والجماعي، المسئول ــ وغير المسئول .

ومن هذا المنطلق ، يواصل السادات خطابه، مبيناً مسئولية الشعوب، في مشاركة أصحاب القرار .

فالشعب المصري يحمل رسالة السلام، إلى الشعب الإسرائيلي .

والسادات يبلغها إلى كل رجل وامرأة وطفل، وكل من عانى آلام الحرب من هذا الجيل .

وكأنه يبحث عن فرصة جديدة، تساهم في عملية السلام وتضمن لها النجاح .

فوضع الشعب الإسرائيلي، موضع المشاركة الإيجابية ، وحقه في تقرير مصيره بعيداً عن طمع القادة، وسياسات الدول .

ولا شك أن الممارسة المسئولة للحقوق والواجبات عن طريق الأفـــراد، والجماعات، والشعوب، من شأنها أن تدعم فرص السلام، وتهيئ المناخ الملائـــم للتعاون الدولي، من أجل سلام العالم .

والشعوب حينما تستجيب لنداء السلام، فإنها تحقق الإرادة الإلهية، التـــي تريد السلام، والخير لبني البشر. وبهذا خـــتم الســـادات نـــداءه قبـــل الأخيـــر بقوله:**(وإرادة الشعوب هي من إرادة الله)**.

المقال السادس والأخير
(توحيد الجهود في الدعوة إلى السلام)

أخذ السادات في هذا المقال الموجز والأخير، الذي لا يتعدى سبعة عشر سطراً تقريباً، يستجمع كل أفكار الخطبة، ليعيدها على الأسماع،ليؤكد عدة مبادئ: أهمها الإصرار على بذل كل الجهد من أجل السلام الدائم العادل.

وتنتهى الخطبة بما بدأت به، وهو اتخاذ قرار السلام واختياره، هذا الطريق الصعب، الذي اعتبره معركة كل الأطراف.

يقول: **(إنها ليست معركتي فقط، ولا هى معركة القيادات فقط في إسرائيل، ولكنها معركة كل مواطن على أرضنا جميعاً ، من حقه أن يعيش في سلام ، إنها التزام الضمير والمسئولية في قلوب الملايين)** .

ويخلص السادات من ذلك، ليبين أن السلام يتعلق بوحدة الوجود الإنساني، ولذلك يدعو إلى توحيد الجهود الإنسانية الساعية إلى تحقيق السلام ، وهذا أمر ينطبق على كل جماعة إنسانية، ينطبق أيضاً على كل الأديان، والشعوب، والجماعات الحضارية المختلفة.

وأخذ السادات يقدم لهذا الهدف في الفقرة السابقة بقوله:**(اخترت أن أحضر إليكم بالقلب المفتوح، والفكر المفتوح اخترت أن أعطي هذه الدفعة لكل الجهود العالمية المبذولة من أجل السلام)**.

وبعد حديثه عن هدف الزيارة إلى إسرائيل، استعرض السادات ما كان يدور بخاطره، فيما يتعلق بقراره المفاجئ، ليس للجمهور فحسب؛ بل لأقرب مستشاريه، ومعاونيه، وقد أطلق السادات نفسه على هذه الظاهرة اسم الصدمة

الكهربائية[١] .

يقول: **(لقد اخترت أن أخرج على كل السوابق والتقاليد ، التي عرفتها الدول المتحاربة، ورغم أن احتلال الأرض العربية ما زال قائماً ، بل كان إعلاني عن استعدادي للحضور إلى إسرائيل مفاجأة كبرى ، هزت كثيراً من المشاعر ، وأذهلت كثيراً من العقول...)**

والسلام مرتبط في تحقيقه بالعقل، والضمير الأخلاقي ، ومراقبة الله، وهذا هو الطريق المستقيم كما أشار من قبل في المقال الثالث.

أما إذا سلك طريق الأهواء والمصالح، فقد تخلى عن مسئولية السلام .

يقول: **(اخترت أن احضر إليكم ، بالقلب المفتوح ، والفكر المفتوح ... أخترت أن أقدم لكم ، وفي بيتكم ، الحقائق المجردة عن الأغراض والأهواء)** .

ثم ختم السادات خطبته مستلهماً النداء الإلهي ، مهيئاً الطريق إلى السلام في ظل العقيدة الدينية، التي تحمل الإنسان المسئولية، فسلام الإنسان في هذه الأرض مرتبط إذن بالسماء، وليس منفضلاً عن الوحى الإلهي، والتوجيه الربانى، فكانت هذه آخر الكلمات:**(اللهم إنني أردد مع زكريا قوله: (أحبو الحق والسلام) واستلهم آيات الله العزيز الحكيم حين قال:﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾**[٢] .

صدق الله العظيم، والسلام عليكم.

---

(١) انظر على سبيل المثال(خطبة١٢سبتمبر١٩٨١م)"وفي إطار سياسة الصدمات الكهربائية قامت الخطب السياسية بدور التيار الكهربائى الذي يحدث الصدمة، وسوف يظل المثال الأوضح على ذلك هو العبارة الاستطرادية في خطبته أمام مجلس الشعب في٩ نوفمبر ١٩٧٧م التى كانت ــ وراء زيارته لإسرائيل وما نتج عنها من أحداث ، وأدت ... إلى استقالة وزير الخارجية المصرى إسماعيل فهمى الذي صدمته العبارة التى لم يكن يعرف عنها شيئاً ــ انظر البلاغة السياسية ص١٥، مرجع سابق .

(٢) سورة آل عمران آية : ٨٤ .

ثانياً: التحليل الفني والنقدى

فإذا ما انتقلنا من النظر التحليلى في تلكم المقالات، إلى النظر الناقد، بحثاً عن أهم السمات الفنية التى اتسمت بها وجدنا التالى:

١ــ تكرار الأفكار وتشابهها .

لقد ترتب على حرص السادات على الإصلاح السياسي، وإتمام اتفاقية السلام، ميله إلى الحرص على إبراز هذه الأفكار إبرازاً شاملاً ، مما قاده إلى تكرار الأفكار ، في غير نظام منطقي ، بحيث ترك لفكره المجال لتقديم كل ما تراه لتدعيم فكرة السلام ، وأسلم نفسه لهذه القضية .

فتراه مثلاً: حين يتحدث في مقدمة مقاله الأول عن خطورة الحرب على النفس والحياة، يقول:(... **بين أشلاء الضحايا من بني الإنسان فلا غالب ولا مغلوب ، بل إن المغلوب الحقيقي دائماً هو الإنسان ، أرقى ما خلق الله ..)** .

وبعد أن يتناول العديد من الأفكار والمعانى الجزئية المختلفة، حول حقيقة السلام مع إسرائيل،...يعود فيستأنف حديثه عن أثر الحروب على الأجيال، فيقول: **(لماذا نورث هذه الأجيال نتائج سفك الدماء، وإزهاق الأرواح ، وتيتيم الأطفال، وترمل الزوجات ، وهدم الأسر ، وأنين الضحايا ؟)**

ثم عاد لنفس الفكرة، وهى آثار الحروب على الأفراد والشعوب، فقال: **(وإذا قلت إننى أريد أن أجنب كل الشعب العربى ويلات حروب مفجعة ... وأحمل نفس المسئولية لكل إنسان في العالم وبالتأكيد نحو الشعب الإسرائيلي ضحية الحرب:الإنسان .**

إن الروح التى تزهق في الحرب هى روح إنسان ... إن الزوجة التى تترمل هى إنسانه ... إن الأطفال الأبرياء الذين يفقدون رعاية الآباء وعطفهم ، هم أطفالنا جميعاً) .

وبعد أن تعرض لقضية القدس، وفلسطين في المقال الرابع، وبين كيفية الحفاظ على الحق الفلسطيني، وعدم التفريط في القدس، عاد يكرر المعنى نفسه

بقوله: في المقال الخامس **(إن الصواريخ والبوارج والأسلحة النووية ، لا يمكن أن تقيم الأمن ، ولكنها على العكس تحطم كل ما يبنيه الأمن، وعلينا من أجل شعوبنا ، من أجل حضارة صنعها الإنسان ، أن نحمي الإنسان في كل مكان ، من سلطان قوة السلاح)** .

ونفس المعنى **(ضرورة السلام)** قدمه في ثوب جديد في نفس المقال، بقوله : **(ولتتجه الجهود إلى بناء صرح شامخ للسلام ، بدلاً من بناء القلاع والمخابئ المحصنة بصواريخ الدمار . قدموا للعالم صورة الإنسان الجديد ... لكي يكون قوة لإنسان العصر ، إنسان السلام في كل موقع ومكان ..)**

وتكررت جزئيات هذه الفكره في آخر مقال .

* ونرى السادات حين يتحدث عن السبل التي توصل إلى نجاح قضية السلام، يؤكد على فكرة المصارحة، وإخلاص النوايا .

ويعرض سلسلة من العبارات، والكلمات، التي تؤكد هذا المعنى، وتبين مدى قيمته في طريق السلام .

ووضع بذور هذا المعنى في المقال الأول، فقال:**(بهذه الدوافع كلها، التي يلتزم بها الواجب التاريخي والقيادي .... سعينا نطرق الأبواب ، المفتوحة والمغلقة، لإيجاد طريق معين نحو سلام دائم ، عادل وفتحنا قلوبنا لشعوب العالم كله لكى يتفهم دوافعنا وأهدافنا..)**.

ثم فتح الطريق إلى المعنى نفسه، **(دعونا نتصارح بالكلمة المستقيمة ، والفكرة الواضحة ، التى لا تحمل أى التواء ، دعونا نتصارح اليوم.. أملاً في أن تتحقق، في النهاية النتائج التى يرجوها الملايين من هذا الاجتماع التاريخى)**. ومن ذلك قوله حينما أخذ يفند بعض الحقائق، التى تبين استعداده للتجاوب مع إرادة السلام ، ومن يريد السلام فإنه يتحتم عليه أن يعترف في صراحة بـ **(إنه لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين ... إن المواجهة المباشرة والخط المستقيم هما أقرب الطرق وأنجحها للوصو إلى الهدف)**

فالسلام لا يعرض من الخارج إنه يبدأ في داخل الإنسان، وهى المصارحة التي عاد يؤكدها بقوله: **(لماذا لا تتفق إرادتنا ، بصدق وإيمان وإخلاص ، لكى نزيل معاً شكوك الخوف والغدر والتواء المقاصد وإخفاء حقائق النوايا).**

وتعلقت فكرة المصارحة بعدة آراء، عرضها في المقال الرابع وهي تدعو في الوقت نفسه إلى احترام حق الغير .

ومنها **(وبكل صراحة ، وبالروح التى حدت بي إلى القدوم إليكم اليوم ، فإنى أقول لكم ، إن عليكم أن تتخلوا ، نهائيا، عن أحلام الغزو ، وأن تتخلوا ، أيضاً عن الاعتقاد بأن القوة هى خير ووسيلة للتعامل مع العرب ..)**

* وتجدر الإشارة إلى أن ظاهرة التكرار في الخطبة، لم تكن شائعة في المقالة الواحدة فحسب ، وإنما كثيراً ما رأيت الفكرة الواحدة تتكرر في أكثر من مقال ،مما يحتم على المتلقى أن يكثف تركيزه ،حتى لا يقع فريسة الخلط والاضطرب .

من هذه الأفكار: **(مفهوم السلام مع إسرائيل وكيف يتحقق)** وأخذ يفند لهذه الفكرة بداية من المقال الثاني إلى المقال الخامس وكرر هذا المفهوم في صدد حديثه عن :

- **ما هو السلام مع إسرائيل .**
- **كيف يمكن أن تحقق السلام الدائم العادل ..**
- **هناك حقائق لابد من مواجهتها بكل شجاعة ...**
- **إن واجب المصارحة يقتضى أن أقول لكم ما يلى ...**
- **تصوروا معي اتفاق سلام في جنيف ... يقوم على ...**

* والمتأمل في الخطبة يتبين له أن السادات أعاد في المقال الثاني والأخير، ما ذكره في المقال الأول، حتى يمكننا أن نقرر أنه لم يقدم فيه جديداً .

وذلك حين تناول انفراده باتخاذ القرار، وتحمله المسئولية فقال أولا:(**إننى ألتمس العذر لكل من استقبل قراري ، عندما أعلنته للعالم كله أمام مجلس الشعب المصري...**) ثم دخل في تفاصيل مفاجأة القرار وحديثه مع أحد مساعدي مكتبه .

وأخذ في استعراض أخبار أخرى، ترتبت على قراره المفاجئ، بالذهاب إلى إسرائيل فقال:(**إننى التمس العذر لكل من أذهله القرار، أو تشكك في سلامة النوايا وراء إعلان القرار فلم يكن أحد يتصور أن رئيس أكبر دولة عربية...**).

وعاد وكرر نفس المعنى في السطور التالية، وبعد أن عرض طائفة من المواقف، والقضايا ، يعود ثانية ليؤكد نفس المعنى، في نفس المقال الأخير في صدد حديثه عن مسئولية الشعوب، في مساندة أصحاب القرار.

وهذه الفكرة عرضها السادات في خطبته من خلال خمسة وثلاثين سطراً، في حين تبلغ الخطبة كلها حوالى مائتين وعشرين سطراً أي حوالى أربعة عشر ونصف في المائة (١٤,٥%) من الخطبة .

وهى مساحة فسيحة، من النص أعلن فيها السادات تحمله مسئولية اتخاذه قرار السلام، وكأنه أمانة اختار حملها اختياراً فردياً ومن ثَمَّ كان يستمد العون "الإلهي"يقول:(**قبل أن أصل إلى هذا المكان ، توجهت بكل نبضة في قلبى ، وبكل خلجة في ضميري ، إلى الله ﷻ... بالدعاء أن يلهمني القوة وأن يؤكد يقين إيماني بأن تحقق هذه الزيارة أهدافها التي أرجوها ...**) .

وهذه ممارسة تأثيرية، لها دورها في الإقناع العقلي، وفي الوصول إلى أقصى درجات الفعالية الخطابية .

كما أدى التكرار إلى إيضاح الفكرة، وعرضها من كافه وجوهها .

هذه كانت بعض الأفكار والمعانى التي رددها الخطيب في أكثر من مقالة، وليس من شك في أن هذا يرجع إلى أن الخطبة كلها، تأخذ بعضها من بعض، وتتحرك في قضية واحدة، تدور حول موضوع السلام العادل الشامل الدائم، وأثره في السعادة المنشودة .

ويبدوا أن الحماسة والانفعال، شغلت كاتب الخطبة عن ترتيب الأفكار،على الرغم من أن هذا الترتيب، يكون أقرب في الوصول إلى نفس المتلقي، والتأثير في عقله ووجدانه .

ولكن الواضح أن الحرص على الإقناع، وإسداء النصح والإصلاح، شغل الكاتب عن ذلك.

٢ــ الحوار :

الحوار أداة من أدوات التغيير، له الأثر القوي في نجاح القضايا السياسية، والدولية، فهو وسيلة من أهم الوسائل، التي يستعملها السياسي المسئول لإقناع الناس، بالقضايا والمبادئ، (ولابد للمحاور من ضابطٍ يحتكم إليه، ويهتدي بهديه، حتى لا تزيغ به الأهواء، ولا تعصف به الأنواء ، والعقيدة الإسلامية أمر فطري ، لذا تعتبر الركيزة الأولى في عالم الحوار .... فأي حوار مفيد، يجب أن يأخذ في اعتباره الإيمان بالله وحده لا شريك له...)[١].

وبهذا ضبط السادات حواره، معهم من البداية بقوله:(**كلنا، مسلمين ومسيحين ويهود، نعبد الله ، ولا نشرك به أحداً**).

(والحوار المبنى على العقيدة من أقوى الأسلحة لنصرة الحق والقضاء على الباطل)[٢] .

كذلك من شروط الحوار العلم والمعرفة ؛ لأن المحاورة عملية عقيلة مشتركة ، لحمتها الأساسية المعلومات الصادقة[٣] .

---

(١) د/ تيسير الفيتاوي ــ مقومات رجل الإعلام الإسلامي ص ١٠٥ باختصار ــ دار عمار بالأردن.

(٢) د/ أبو المجد نوفل ــ الدعوة إلى الله تعالى: ص٧٠ بتصرف مكتبة اللغة العربية بأسيوط ــ جامعة الأزهر.

(٣) د/ عادل محمد أحمد الحسيني ــ أسلوب وأدب الحوار في دعوة النبي المختار: ص١٣٠٢ ــ جامعة الأزهر .

وفي هذا السبيل، حمل السادات في خطبته رسالة السلام، وبيَّن فيها العديد من الحقائق الدولية، والتاريخية، فيما يخص الحق العربى (فلسطين والقدس) وشأن الجولان وسيناء .

ووضح الكثير من المقررات، والحقائق، حتى لا يترك فرصة للتشويش أوالبلبلة الدولية .

" ومن المعروف أن الحوار نشاط عقلي قائم على العقل ولا يتم إلا إذا عرف المحاور قيمته ،فالعقل من أعظم النعم الإلهية للإنسان وهو ميزته على سائر المخلوقات "(١).

ولقد وثَّق السادات حواره ، معهم حين خاطبهم بقوله:**(علينا أن نعلى سلطان الإنسانية بكل قوة القيم والمبادئ، التي تعلي مكانة الإنسان).**

ويستطيع المحاور أن يجعل العقل يؤدي مهامه على أحسن ما يرام، إذا تعامل مع الطرف الآخر بحرص وموضوعية، وترك له حرية التفكير واتخاذ القرار دون تأثير وهذا ما قرره السادات في أول مقاله بقوله:**(...وأتركم بعد ذلك ، لكي تقرروا لأنفسكم)** .

وبالحوار تُنشر الحقيقة وتطرح الخرافات والأباطيل، من أية جهة صدرت، ويتم تبصير الناس بالطرق المنطقية السليمة، التي تهدى إلى الرشد .

والمتتبع للخطبة، يجد حشداً كبيراً من الأدلة المنطقية المثبتة لحق الشعب العربي في أرضه.

هذا ، والحوار في الخطبة، أخذ أشكالاً متعددة منها :

١ــ أن يأتي بجملة لطيفة وكلمات عذبة مؤدبة .

مثل:**(دعونا نتصارح ــ ألتمس العذر ــ إنني أحمل نفس المشاعر، لقد جئت إليكم لكي نبنى معا السلام الدائم ــ الحق أقول لكم ــ بالروح التي حدت**

---

(١) أبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى ــ أدب الدنيا والدين ص١٤٠ الكتب العلمية بيروت ط: ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م .

بي إلى القدوم إليكم ــ تصورا معي اتفاق سلام ــ وإذا سمحتم لي أن أتوجه بندائي .. وغيره) .

الخطبة مليئة بالأمثلة، التي تبين دور السادات في تهيئة الجو الأمثل والمناسب للحوار، وذلك لتهيئة الطرف الآخر ، حتى يسهل عرض الحقائق والوصول إلى نتائج .

٣ــ طريقة السؤال والجواب :

كذلك من طرق السادات في إثارة الخطبة ، وشد انتباه السامع استمال حديثه على هذا اللون من الحوار، يعرض فيه السؤال بشكل مشوق يرغب المستمعين وأصحاب النظر في أن يعرفوا الجواب .

والسادات كان يعرض السؤال، ثم الإجابة، ممثلًا طرفي الحوار ، متناولاً مختلف الموضوعات والقضايا المتعلقة بقضية السلام .

فهو يهيئ الأذهان بالسؤال ثم يأتي بالجواب على النحو التالي :

أــ يقول: **(كيف يمكن أن نحقق السلام الدائم العادل ؟**

وبعد سرد عديد من الحقائق والجزئيات المتعلقة بالسلام .

يعود فيجيب: **(في رأيي وأعلنها من هذا المنبر ، للعالم كله أن الإجابة ليست مستحيلة ولا هي بالعسيرة ...)**

وقوله: **(ما هو السلام بالنسبة إلى إسرائيل ؟ أن تعيش في المنطقة، مع جيرانها العرب، في أمن وأمان . هذا منطق أقول له نعم ...** وغيره) .

ثم يعود فيقول على نفس طريقة الحوار الخيالية، من عرض أسئلة تدور في ذهن الطرف الآخر، فيعرضها ويجيب عنها.

(.. إذاً عندما نسأل ما هو السلام بالنسبة إلى إسرائيل ؟ يكون الرد هو أن تعيش إسرائيل في حدودها ... في أمن وأمان ..)

.. **(ولكن كيف يتحقق هذا ؟ كيف يمكن أن نصل إلى هذه النتيجة .... ؟)** ثم يجيب بقوله:**(هناك حقائق لا بد من مواجهتها بكل شجاعة ووضوح...)** ويبدأ بعرض الحقائق التي يصل بها إلى السلام الدائم العادل .

وهكذا كان الحوار في مثل هذه النماذج، نتيجة لسؤال يطرحه السادات، فيهيئ الأذهان للسماع، ثم يأتي الجواب .

ب ــ أسلوب الاستفهام المجازي :

وهو من الأساليب التي استخدمها السادات في خطبته، على طريقة الحوار، وهو أسلوب له صلة قوية بأسلوب السؤال والجواب، والغرض من كليهما، تبليغ الدعوة إلى السلام على هدى وبصيرة .

وما ورد في الخطبة يختص بهذا الأسلوب ما يلي :

قوله: **(إنني أسألكم اليوم بزيارتي لكم ، لماذا لا نمد أيددينا ، بصدق وإيمان وإخلاص لكى نحطم هذا الحاجز معاً؟ لماذا لا تتفق إرادتنا بصدق وإيمان وإخلاص .. ؟ لماذا لا نتصدى معاً بشجاعة الرجال ؟ لماذا لا نتصدى معاً... لكي نقيم صرحاً شامخاً للسلام... ؟)** وهكذا ...

هذا الحوار الخيالي الذي أداره السادات بطرف واحد في خطبته، وطرح فيه أسئلة عرض في أثنائه استفهامات، له أكبر الأثر في إيضاح القضية، وعرض الحقائق بدليل، ولقد جاءت منضبطة بحسن الأدب وطيب المقال، متفقة مع الغرض الأساسي من الخطبة، ولم يقصد منها التعنت، وإضاعة الوقت، أو تشتيت الموضوع ونحوه .

ج ــ أسلوب الإقناع .

اصطنع السادات في خطبته حواراً خيالياً تصور فيه أفكار وموقف الآخر من الطرفين العرب وإسرائيل، مراعياً فيه الصراحة النفسية، حتى يؤكد في حقِ دعوته إلى السلام، ويقتنع المتلقى بالقضيه . يقول: **(لقد كنا نرفضكم ، وكانت لنا أسبابنا ودعوانا .. نعم)**

وكأن شخصاً من إسرائيل يسأل هل كنتم ترفضوننا ؟

الإجابة نعم، ولماذا ؟ لنا أسبابنا ودعوانا التي تجعلنا نرفضكم . وهكذا ..

(لقد كنا نرفض الاجتماع بكم في أي مكان ... نعم .

لقد كنا نصفكم بإسرائيل المزعومة ... نعم .

لقد كانت تجمعنا المؤتمرات أو المنظمات ..)

وهكذا تحول أكثر من نصف المقال الثالث، إلى قصة أو مسرحية يتبادل فيها الأشخاص المسائل الجزئية، والكبرى، حتى يتمكنوا من تحقيق الأهداف، وفي الوقت نفسه ، دعوة للإصلاح في السلوك والأفعال وتمهيد لبداية جديدة .

والشئ الذي يستحق التعليق، أن هذا الأسلوب عمل على إثاره الحيوية والجمال في الخطبة، ولكنه تطلب في الكلام التطويل والتكرار وأخذ حيزاً ليس بالقليل من الخطبة .

د ــ الحكاية :

من صور الحوار في الخطبة، ما جاء على هيئة حكاية قصيرة موجزة جاءت في سياق حديثه عن انفراده باتخاذ القرار، يقول:**(ولا أخفى عليكم ان أحد مساعديَّ في مكتب رئيس الجمهورية ، اتصل بي في ساعة متأخرة من الليل ، بعد عودتي إلى بيتي من مجلس الشعب ليسألني في قلق : وماذا تفعل ، يا سيادة الرئيس ، لو وجهت إليك إسرائيل الدعوة فعلاً؟ فأجبته ، بكل هدوء : سأقبلها على الفور)**

ووجود الحوار في الخطبة " مظهر من مظاهر الفن فيها، فهي لم ترد في خبر تاريخي مسرود ، فكان للحوار فيها أثر في اتصافها بالحيوية، والحركة، والتشويق[١].

---

(١) انظر:د/مأمون جرار ــ خصائص القصة الإسلامية ص١٥٢ط:دار المنار للنشر والتوزيع،جده .

والملاحظ مما سبق أن السادات اتبع سياسة التدرج، في حواره مع الطرف الآخر، وجاراه في بعض الأمور الجزئية اليسيرة ،(كما في حديثه عن مواقف الوفود ورفض كل طرف حديثه مع الآخر مباشرة) .

وتدرج في شرط عملية السلام، فشرح مفهوم السلام عامة وما هو بالنسبة لإسرائيل ، ثم اتفاق سلام شامل وعادل، فالسادات محاور وخطيب ناجح، بدأ بالأسس وارتقى إلى ما فوقها.

كما كشف الحوار عن شخصية السادات القيادية، من حيث التأثير المثالي (الكاريزما): (حيث يتصرف القائد بوصفه نموذجاً أو قدوة للأتباع، وعادة ما يتوحد الأتباع مع هؤلاء القادة ، ويرغبون بشده في النسج على غرارهم ، وعادة ما يمتلك هؤلاء القادة معايير أخلاقية ومثالية،عالية للغاية للقيام بالتصرفات الصحيحة، وهم يحظون باحترام الأتباع وثقتهم ويقدم هؤلاء القادة لأتباعهم الرؤية المستقبلية والشعور بالمسئولية .

ويوصف هؤلاء القادة (بالكاريزما) حيث يعتبرون من الأفراد المتميزين الذين يمكنهم جعل الآخرين يتبعون رؤاهم المستقبلية) [١] .

وهكذا تمت معاهدة السلام[٢].

٤ ــ نزوعه إلى الحكمة والاستشهاد بالنصوص :

على الطريق نفسه ، طريق حرص الكاتب والخطيب على الإلمام بأطراف القضايا، والأفكار التي يتناولها ، وترسيخها في ذهن المتلقي، نتبين

---

(١) د/ محمد سعد محمد ــ أساليب القيادة وصنع القرار ص١٥٣ .

(٢) يقول بشار الأسد بعد احتلال إسرائيل للجولان من أكثر من ٣٨ سنة (يا ليتني أصل إلى ما وصلت إليه مصر في معاهدة السلام) .

كثرة ما قامت عليه الخطبة من الأمثلة المتنوعة، التي جمعت بين الحكمة[١] والقول المأثور، والنص القرآني، ونصوص أهل الكتاب، بما يؤكد ثقافة الكاتب وشمول فكره.

الحكمة لون جميل من ألوان الأدب، يؤثر في النفس ، ويزيدها معرفة واستنباطاً لأسرار الحياة وأكثرها يقوم على قوة في تركيز مشاعر الناس، وإحساساتهم، حتى تتبلور في صيغ قصيرة، لتؤثر في السامعين تأثيراً قوياً، حتى يحسبوها من الحقائق المقررة،والقوانين الاجتماعية، الثابتة[٢] .

وفي خطبة السادات رأينا الأديب الحكيم، بالفكر الدقيق النافذ ، والرؤية الواسعة، لقضايا الشعوب في الحرب والسلام .

واستطاع أن يلبس المعاني السياسية بصورها الجامدة، ثوباً فنياً مؤثراً، من أهم خصائصه الإيجاز،الذي يعطيك لفظاً موجزاً ومعنىً يفيض سعةً وإيحاءً.

ولا يخفى أن السادات لم يكن في كل خطبته أديباً، بل لجأ إلى أسلوب التحليل والسرد، بما ملأ صفحات متعددة قد تكون لفكرة واحدة .

وهذه الفكرة الواحدة، تناولها أحياناً بفكر الأديب في عبارات قصيرة، هي في تأثيرها ودلالاتها تفوق تلك الصفحات،التي استوعبت فكر السياسات والمناقشات الدولية .

ومنها قوله في المقال الأول :

١ــ (بين أنقاض ما بنى الإنسان ، وبين أشلاء الضحايا من بني الإنسان، فلا غالب ولا مغلوب ، بل إن المغلوب الحقيقي دائماً هو الإنسان أرقى ما خلق الله).

---

(١) ليس المقصود هنا الحكم الأدبية المأثورة ، وإنما ما جاء على لسان السادات (في الخطبة) من أقوال تحمل فكراً دقيقاً نافذاً ورؤية واسعة لجوانب الحياة ، مع الإيجاز والقدرة الفنية.

(٢) د/محمد كامل حسين،الشعر العربى والذوق المعاصر ــ ص١٣١ ــ القاهرة بدون ط .

فهذه العبارات تضمنت نهاية الحرب وآثارها المدمرة على الإنسانية، فالله – سبحانه وتعالى – خلق الخلق على أفضل وجوه النظام والإبداع، وفي داخل هذا الخلق ، يتمتع الإنسان بمكانة مرموقة ومنزلة عالية فالإنسان وحده من بين المخلوقات كافة، هو الذي يستطيع أن يقرر لنفسه بمحض اختياره وحريته ، قبول هذه المكانة أو رفضها ، وذلك على العكس من بقية المخلوقات التي لا حرية لها ولا اختيار . فإذا رفض الإنسان هذه الإنسانية ، وهذه المكانة، فإنه ينحدر إلى درجة أدنى من مرتبة الحيوانات التي لا تعقل ويتنازل عن إنسانيته ، ويتلاش في هوة سحيقة هو
الخاسر فيها وحده.

فالكاتب وفق في اختيار ألفاظه، على الصورة التي تتطلبها النماذج الأدبية الرفيعة خاصة وقد وشَّاها بلونٍ من الموسيقى، متمثل في الجناس **(بنى ــ بني) (غالب ــ مغلوب)** ومقابلة بين صورة الإنسان الراقى المتمتع بنعم الحياة ــ وبين صورته بعد الحرب وهو أشلاء وما حوله أنقاض كذلك أسلوب النفي والاستفهام"وما أفاد من تنبيه السامع وتأكيد المعنى.

٢ــ قوله **(إنه لاسعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين)** .

فالحكمة توضح في مقام الحديث عن السلام، أن الله جعل الناس مختلفين، ليتعرف بعضهم على بعض، وهذا التعرف إذا كان جاداً ومخلصاً فإنه يؤكد المساواة، الأمر الذي يحفز المرء على أن يكون عادلاً ومتسامحاً مع غيره، ومحباً له مثلما يحب نفسه، وهنا يمتلئ قلبه بالسلام ، ويكون قادراً على أن ينشر هذا السلام على كل من حوله، وهذا هو أساس العدل، فسعادة أحد على حساب آخرين، هو الظلم الذي حرمه الله على نفسه وعلى الناس ، وهذا يعنى احترام كل فرد بشري للآخر، احترام حريته وكرامته وحقوقه.

وجاء في الحكمة الطباق:**(سعادة ــ شقاء) (أحد ــ آخرين)** فأضاف للمعنى إشراقاً وموسيقى .

٣ــ **(إن المواجهة المباشرة أو الخط المستقيم ، هما أقرب الطرق وأنجحها إلى الهدف الواضح)** .

والحكمة تهدف إلى أن الطريق إلى السلام، طريق مستقيم لا اعوجاج فيه ، والسلوك القويم الذي يتسم بالعدل والصدق وبذل الوسع.. يؤدى إلى تطوير إيجابى.

والمواجهة المباشرة تعني أن الإنسان لا يعيش وحده ، وإنما هو عضو في جماعة بشرية ، وتعرفه على نفسه من خلال الآخرين، يجعله قادراً على التعاون معهم، والفهم الحقيقى لهم ، ويدرك في النهاية أنه مخلوق مثلهم، والذي يعرف نفسه على هذا النحو، يرى الطرق المختلفة التي توصل إلى نفس الهدف .

٤ــ قوله:**(ليس هناك سلام يستقيم أو يبنى مع احتلال أرض الغير)** .

ــ **(لا حل لمشكلة أبداً بالهروب منها أو بالتعالي عليها)** .

ــ **(لا يمكن أن يستقر سلام بمحاولة فرض أوضاع وهمية)** .

في هذه الأقوال يضع السادات الخطوات الأولى الهامة على طريق السلام العالمي، متمثلة في وضع نهاية لجعل جماعات معينة، أو شعوباً أو أدياناً، ضحية للعدوان والرغبة في التوسع .

تحقيق السلام في العالم، يتمثل في ضرورة الاعتراف بحق كل إنسان على هذه الأرض في حفظ حقوقه .

فالحروب لا تستطيع أن تحل المشكلات بل تؤخر حلها ، وربما تجعل حلها أمراً مستحيلاً .

وكل ما تحتاجه هو أن تتاح الفرص للمشاركة الإيجابية، في بناء حياة مثمرة، تتطلب البحث عن حلول جديدة .

٥ــ **(عندما تدق أجراس السلام ، فلن توجد يد لتدق طبول الحرب ، وإذا وجدت فلن يسمع لها صوت)** .

تشير هذه الحكمة إلى أن قانون السلام ، لابد أن ينفذ بلا استثناء ويخضع له الجميع بطريق لا تعرف التحيز .

وأن من يهمهم الأمر عليهم حل مشاكل النزاع، على أساس من المصداقية والعدالة،ويجب معاقبة الذين يقومون بإشعال الحروب ، حينئذ يكون السلام ممكناً، تعلو أصواته ،وتنخفض وتتلاش أصوات العدوان والخراب ، حتى لا تجد أذناً تسمعها ؛ لأن هناك وعوداً والتزامات تحمى السلام وتدعمه .

والتجسيد لصورة السلام والحرب، مع موسيقى الطباق نقلت المعنى إلى النفس حياً قوياً ممتازاً.

٥ـ وحول الفكرة نفسها، استشهد السادات بأقوال سليمان الحكيم:(**الغش في قلب الذين يفكرون في الشر أما المبشرون ، بالسلام فلهم فرح – لقمة يابسة، ومعها سلامة، خير من بيت ملئ بالذبائح مع الخصام**) وهى أقوال تحكى في بساطة، أن الذين يتخلون عن مسئولية السلام وصاروا له أعداء، هم قد تخلو عن إنسانيتهم ، وملأوا قلبهم شراً وعدواناً بدلاً من المحبة والسلام، الذي يملأ قلوب أصحابه سعادة وخيراً .

ـ **(لقمة يابسة ، ومعها سلامة ، خير من بيت ملئ بالذبائح، مع الخصام)** .

فالسلام يهب النفس القناعة، والسعادة مع الآخرين، ويوحد نفوس البشر، التي تملأ بالخير والرضا، حتى مع أقل متطلبات الحياة .

وعلى العكس، تشقى نفوس المعتدين، ومن حرموا من نعمة السلام، ويفقدوا كل النعم التي أنعمها الله على البشر ، وبدون السلام تنتهي السعادة، بماديات الحياة ومعنوياتها . وتجلى المعنى مشرقاً في سياق المقابلة .

ثم أضاف الكاتب مستشهداً بقول داود عليه السلام: (وإليك يا رب ، أصرخ اسمع صوت تضرعي ، إذا استغثت بك، وأرفع يدي إلى محراب قدسك ، لا تجذبني مع الأشرار ومع فعلة الإثم، المخاطبين أصحابهم بالسلام، والشر في

قلوبهم ، اعطهم حسب فعلهم ، وحسب شر أعمالهم ، أطلب السلامة وأسعى وراءها).

يعلم السادات أن الدين له دور كبير في صنع السلام ، لأن السلام من وجهة النظر الدينية، يعنى أساساً صلة قوية وسليمة بالله سبحانه، وهذه الصلة الوثيقة بالله، تنبثق منها كل الصلات الأخرى.

والمشكلة الرئيسية في المجتمع اليهودي النفاق ولقد لفت السادات نظرهم إلى هذا الداء، الذي ينعكس عليهم عاجلاً أو آجلاً.

وواصل الدعوة مستشهداً بأقوال زكريا عليه السلام" **(أحبوا الحق والسلام)**وهكذا واصل السادات توجيهه لخدمة قضية السلام، بأمثلة، وطائفة متنوعة من الحكم، والنصوص، تأييداً لأرائه، ودعماً لحججه، مما يدل على غزارة ثقافة الكاتب وموسوعية فكره.

ويشير إلى مدى إلحاحه في تأكيد المعنى، وتجسيده في صور مختلفة ــ عملاً على إقناع المتلقي والتأثير في وجدانه.

ووصل السادات إلى أقصى غاية قصد إبرازها، حين ختم خطبته بآية من سورة آل عمران بينت أن العقيدة الدينية الإسلامية، تهيئ للإنسان المناخ الذي يستطيع فيه أن يتواءم مع ذاته ومع العالم الذي يعيش فيه بكل دياناته.

والطريق إلى السلام في ظل الإيمان بالله، يعنى تحمل المسئولية إزاء الخلق كله.

ظهر السادات في خطبته من هؤلاء الموهوبين في مسألة التعرف على الكلمة، والقدرة على اختيارها،وانتقائها ووضعها في مكانها المناسب من العبارة.

إلى جانب صدقه في التعبير،وانفعاله بالتجربة،ومعايشته لمعانيه وأفكاره.

٥ــ منهج السادات في الدعوة إلى السلام:

حاور السادات الحاضرين من أجل إقناعهم وإقامة الحجة عليهم واستخدم في ذلك ثلاثة أساليب (الحكمة ــ الموعظة ــ الجدال بالتي هذا أحسن).

يراد بالحكمة في باب الدعوة أن يكون الداعية فاهماً لقصده، عارفاً بأفضل الطرق المؤدية إلى الغرض على خير وجه(١).

وهذا ما أوضحه القرآن الكريم كتاب الدعوة ومصدرها ، قال تعالى مخاطباً رسوله ق﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾(٢)

والخطيب يجب أن يكون مدركاً لما حوله على دراية " بقواعد الدعاية بالنسبة لكل نمط وطائفة من طوائف المدعويين ، فالحكمة هي وضع الشئ في موضعه، والحكمة تقتضى أن يكون الداعية .... مقدراً الظروف التي يدعو فيها، مراعياً لحاجات الناس، ومشاعرهم حتى يتمكن من الوصول إلى قلوبهم "(٣) .

فالحكمة كما يقول الإمام النسفي في تفسيره هي(... المقالة الصحيحة المحكمة ، وهى الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة)(٤) .

والسادات يستعمل هذا الطريق (الحكمة) في الدعوة إلى السلام.

فالحكمة تعنى في جوها بيان الحق بياناً شافياً مؤيداً بأدلته القوية التي تنفي كل شبهة وتقطع السبيل أمام كل تردد ... ومما لا شك فيه أن من الناس طائفة أصحاب نفوس مشرقة ، قوية الاستعداد لإدراك المعاني والاستجابة لها، شديدة الانجذاب نحو المبادئ ، واتباع الحق وهؤلاء يدعون بالحكمة(٥).

والخطبة في هذا الجانب، برزت فيها الحكمة التي يمكن أن تؤلف القلوب النافرة والطباع الجامحة .

---

(١) أ.د/ عبد القادر سيد عبد الرؤوف ، منهج الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم ص٣،بحث نشر في حولية كلية أصول الدين بالقاهرة العدد٥، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

(٢) النحل١٢٥..

(٣) نفسه ص٣ وما بعدها .

(٤) تفسير النسفى ج٢ ص٢٢٥ بتصرف .

(٥) أ.د/ عبد القادر سيد عبد الرؤوف ــ منهج الدعوة الإسلامية ص٦ بتصرف .

فأثار في حديثه النابع من منطلق المسؤلية والمصارحة، أن من واجب الراعي والمسؤل، أن يجنب شعبه ويلات الحروب، وينطلق به نحو آفاق جديدة فقال:**(إن في حياة الأمم والشعوب لحظات يتعين فيها على هؤلاء الذين يتصفون بالحكمة والرؤية الثاقبة ، أن ينظروا إلى ما وراء الماضي بتعقيداته ورواسبه من أجل انطلاقة جسورة نحو آفاق جديدة)** .

وفي ضوء هذا المبدأ أخذ السادات يوضح مفهوم السلام الدائم والعادل، في حكمة بالغة، ويعرض قضية فلسطين قائلاً:**(يجب أن نرتفع جميعاً فوق جميع صور التعصب ، وفوق خداع النفس ، وفوق نظريات التفوق البالية ، ومن المهم ألا ننسى أبداً أن العصمة لله وحده)**.

كلمات قوية تدعوا إلى العدل والصواب، واتباع الحق وعدم خداع النفس، وهذا هو عين الحكمة .

وفي المقال الرابع يقول عن السلام: **(إن السلام لن يكون اسماً على مسمى ، ما لم يكن قائماً على العدالة ، وليس على احتلال أرض الغير ، ولا يسوغ أن تطلبوا لأنفسكم ما تنكرون على غيركم ..)** ثم قال **(هذه بديهة ، لا تقبل الجدل والنقاش ..)**

و**(السلام في جوهره نضال جبار ضد كل الأطماع والشهوات)** .

(... ولا يمكن أن يستقر سلام بمحاولة فرض أوضاع وهمية...).

ثم يقطع الطريق أما كل تردد فيقول:**(لا طائل من وراء عدم الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وحقوقه في إقامة دولته وفي حق العودة)** .

أكد ذلك بعرض العديد من الحقائق والمبررات. وهكذا استطاع السادات بأسلوب الكلمة، أن يدعوا إلى العدل، والحق، فيما يخص حق الشعب الفلسطيني، والقدس[١].

---

(١) يقول صاحب لسان العرب الحكمة: العدل ،ورجل حكيم ، عدل ... والحكيم المتقن للأمور.انظر: ج٣ ص٩٥٣ ط: دار المعارف .

تعليق :

من خلال الحديث عن (الحوار) في الخطبة يمكن عرض نماذج من الأساليب الحكيمة في حديث السادات .

ــ إنه كان يسأل عن الشئ الخاص (السلام)،فيجيب بما يتناوله وغيره من قضايا الحرب والدمار، على البشر وخراب الأرض، وضياع الحقوق والتعاسة والحزن .. وغيره .

كذلك الإيجاز إذا اقتضى الحال ذلك ، كما في حديثه عن نصر أكتوبر ، خط بارليف، حتى يرفع عنهم ذل الهزيمة.

والإطناب عند مقتضى الحال كما في حديثه عن حقيقة السلام العادل وقضية فلسطين ، والقدس ، فهذه القضايا هى الغرض الأساس للخطبة .

كذلك إعطاء الوسائل صورة ما تفضي إليه مثل :

السلام يفضى إلى السعادة .

الحرب يفضى إلى دمار .

لكم شروط ــ لنا مثلها ضمانات.

تعيشوا معنا ــ نقبل في سلام ، وهكذا .

ــ كذلك ذكر الأمثال وسوق النماذج والأقوال ، مثل حديث غاندى ــ مزامير داوود ، وصورة السؤال والجواب كل هذه الأساليب مجتمعة، ساعدت في إظهار الحقائق الخفية وتقريب المعاني البعيدة ، حتى تصير واضحة مقبولة .

وكان لهذا الأثر البالغ في نجاحها وانتشارها، مما جعلها من أكثر خطب السادات تأثيراً وانفعالاً.

ــ الموعظة :

الموعظة الحسنة[١] جاءت في الخطبة على عدة طرق منها: إنه خلط الرغبة بالرهبه ، والإنذار بالبشارة، وذلك في حديثه عن السلام، وعواقب الحرب، وأثر كل منها على الإنسانية، وعلى الشعب العربي والإسرائيلى .

جبلت نفوس اليهود على التكبر، والعظمة، واستثقال الموعظة، ولذلك مال السادات في خطبته إلى التكرار والتطويل ، في عرض أحاديث السلام في أكثر من صورة، وطريقة ، كلها غلب عليها اللطف واللين.

جاء ذلك في أغلب الخطبة، في عرضه لقضية فلسطين ، وحق الشعب العربى في استرداد أرضه .

استطاع أن يمزج مرارة الحق، بحلاوة التلطف،وما مر من نماذج يوضح ذلك .

وكأن السادات اتبع معهم قول الحق: ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[٢].

يقول الإمام ابن كثير:(هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين).

والسادات في موقفه معهم هو الزعيم صاحب الجيش المنتصر، على أقوى جيش في المنطقة ، تدعمه أكبر قوى في العالم ، ومع ذلك آثر الحديث عن القضايا القومية والسلام، بالموعظة الحسنة و اللطف واللين.

---

(١) جاء في لسان العرب : الوعظ والموعظة : النصح والتذكير بالعواقب
قال ابن سيدة : هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب. راجع: لسان العرب لابن منظور ج٦ ص٨٧٣ .
وفي الاصطلاح:تطلق على القول الحق الذي يلين القلوب ويؤثر في النفوس ويكبح جماح النفوس المتمردة ويزيد النفوس المهذبة إيماناً وهداية ــ انظر هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص٧١ .

(٢) سورة طه الآية :٤٤.

والخطبة اتسمت في أكثر من نصفها الأول باليسر واللطف، في مقام حديثه عن السلام والمصارحة، وتحمل المسئوولية واتخاذ القرار .

ــ المجادلة بالتي هي أحسن :

من معانى الجدل مقابلة الحجة بالحجة ــ والمجادلة ــ المناظرة، والمخاطبة(١) .

والجدل إما أن يكون المخاصمة بما يشغل عن الحق وظهوره ، ووضوح الصواب ، وهذا مذموم قطعاً، وإما أن يكون للوقوف على الحق ومقابلة الأدلة لظهور أرجحها وهذا هو الجدل المحمود(٢) .

فالمحمود هو الذي يكون لإظهار الحق وبيان الصواب وهذا هو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٣)

والخطب السياسية أشد الأنواع حاجة لهذا الأسلوب لأنها تناقش قضايا الأمم والشعوب ومختلف الطوائف في الداخل والخارج أحياناً .

فلا يصلح أبداً أن يدعو السياسي إلى الحق بوسيلة فيها باطل، ودعوة السادات للسلام الدائم العادل ، فيها من الحق والوضوح ما يغنيه عن المجادلة بالباطل .

وفي الخطبة أمثلة رائعة للجدل المحمود، الذي يبغي الوصول إلى الحق والصواب، وتأكيد فكرة السلام، وحق الشعب الفلسطيني وقضية القدس .

---

(١) والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها ، ويقال جادلت الرجل فجدلته جدلاً أى غلبته، ورجل جدل ، إذا كان أقوى في الخصام. لسان العرب ج١ ص٥٧١ .

أما صاحب المصباح المنير فيقول : جادل مجادلة وجدالاً ، إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب ، ثم استعمل على لسان حملة الشرع ، في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها ، وهو محمود إن كان للوقوف على الحق وإلا فمذموم (المصباح المنير ــ مادة جدل) .

(٢) د/ حسن عبد الرؤوف محمد ــ من هدى النبي ﷺ في تبليغ الدعوة سبق ذكره .

(٣) سورة النحل الآية : ١٢٥.

فعن السلام العادل في المنطقة، أكد أن السلام لم يتم إلا بحل المشكلة الفلسطينية، يقول:(**إن واجب المصارحة يقتضي أن أقول لكم ... ليست المشكلة هي مصر وإسرائيل ، وأى سلام منفرد بين مصر وإسرائيل ، أو بين أية دولة من دول المواجهة وإسرائيل ، فإنه لن يقيم السلام الدائم العادل في المنطقة كلها ، بل أكثر من ذلك ، فإنه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها وإسرائيل ، بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية فإن ذلك لن يحقق أبداً السلام الدائم العادل، الذي يلح العالم كله اليوم عليه...**)

أما عن القدس فقال :

(**هناك أرض عربية احتلتها ، ولا تزال تحتلها إسرائيل بالقوة ... ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية ... وليس من المقبول أن يفكر أحد في الوضع الحالي لمدينة القدس في إطار الضم أو التوسع ، وإنما يجب أن تكون مدينة حرة ، مفتوحة لجميع المؤمنين ...**)

... ثم قال (**إن الانسحاب الكامل من الأرض المحتلة بعد ١٩٧٦م ، أمر بديهى لا يقبل فيه الجدل ... نعم هذه بديهة لا تقبل الجدل والنقاش إذا خلصت النوايا وصدق النضال لإقرار السلام**) .

أما عن فلسطين فقال :

(**إن قضية شعب فلسطين ، وحقوقه المشروعة ، لم تعد اليوم ، موضوع تجاهل أو إنكار ، إنما واقع استقبله المجتمع الدولى ، غرباً وشرقاً، بالتأييد والمساندة والاعتراف ، في مواثيق دولية وبيانات رسمية، لن يجدى أحداً أن يصم أذنيه عن دويها المسموع ... حتى الولايات المتحدة ، اختارت أن تواجه الحقيقة والواقع ، وأن تعترف بأن للشعب الفلسطيني حقوقاً مشروعة ... وأن المشكلة الفلسطينية هى قلب الصراع وجوهره ، وطالما بقيت معلقة دون حل ، فإن النزاع سوف يتزايد ... فأولى بكم أن تتفهموا إصرار شعب فلسطين على إقامة دولته من جديد في وطنه... ولا داعي للدخول في الحلق**

المفرغة مع الحق الفلسطيني ولا جدوى من خلق العقبات إلا أن تتأخر مسيرة السلام ، أو أن يقتل السلام) .

وهكذا ناقش السادات هذه القضايا الثلاثة بالجدال بالتي هي أحسن ، وهذا شأن المسلم في الدعوة إلى الحق ، فلم يستعمل أسلوب السفسطة ومحاولة الغلبة عن طريق الخشونة ، والتجريح والطعن ؛ لأنه يعلم أنه أسلوب مرفوض يؤدى لنتيجة عكسية .

كما كان قوياً في جداله، متمكناً في عرض قضاياه، أوتي فيها عمقاً ولساناً فصيحاً ، وصوتاً مؤثراً يعرف كيف يعرض الحقائق، فهو مع الحق ضد الباطل، ولن يتأثر بقوة إسرائيل المستمدة من الدول العظمى، عسكرياً ومادياً ومعنوياً فبذل قصارى جهده مستعملاً الطرق الثلاثة في الخطبة (الحكمة ــ الموعظة الحسنة،المجادلة بالتي هي أحسن) بلا يأس أو ملل.

٦- الأسلوب الفني :

حوت خطبة السادات من الموضوعات، ما يتضح بها مفهوم السلام الشامل العادل ويضمن أمن المنطقة واستقرارها .

وقد جاءت هذه الموضوعات مترابطة متصلة، وقامت فيها فنون الأدب والبلاغة بدورٍ بيِّنٍ سما بالمعنى واللفظ، وأضفت جواً من التأثير والروعة.

وعلى الرغم من أن الكاتب تناول الكثير من الموضوعات المتصلة بالسلام، فإن أسلوبه من حيث: الألفاظ والتراكيب والصور، قد خليَ من الغموض والرمزية والإيحاء ، واتسم بالوضوح والإبانة والمباشرة .

كما إنه بيَّنَ الترسل والتحرر من قيود الأصباغ البديعية المتكلفة. وما جاء من المحسنات اللفظية لم يقصدها الكاتب لذاتها، وإنما سخرت لخدمة الخطبة في إيضاح المعنى وتأكيده ، كما أن الصور الفنية المعبرة، التي جسَّدَ فيها الكاتب المعاني والأفكار في ذهن المتلقي، جعلت الأسلوب يجمع بين الإمتاع والإقناع والتأثير. وسأشير إلى ذلك بالتفصيل :

ففي المقدمة تظهر بلاغة الخطبة بوضوح، عندما يتكلم السادات عن السلام، وفي هذا تفاؤلٌ، فهو أول ما يطرق سمع المخاطب من كلام، وفيه ما فيه من حسن ابتداء، وبراعة استهلال، فأول الخطبة يدل على مضمونها وموضوعها.

ثم نراه عالج الأمر بطريقة التحذير والترهيب من تداعيات الحرب والصراع ، وعلى الجانب الآخر حين يسود السلام يعالج الأمر بطريقة الإغراء والترغيب في بناء حياةٍ جديدةٍ، فيها حبٌّ وصدقٌ وطهارةٌ وسلامٌ .

وإذا قسنا هذه المقدمة بمقاييس النقد الحديث، نجدها قد استوفت عناصر التوفيق والنجاح ، فهي وثيقة الصلة بموضوع الخطبة ، ولا ينقصها شئ من الوضوح والبيان ، وكذلك عناصر التشويق والجذب ، وقد جاء النداء الأول كله كمقدمة ناسبت في طولها موضوع الخطبة .

وعندما بدأ عرض الخطبة انبرى السادات يفند القضايا والموضوعات ، وينفي الأوهام الباطلة، ويوضح الحقائق التي توخى فيها الأساليب الإنشائية، التي تتطلبها معارض التأثير لدى السامعين والحاضرين ، ومواقف الانفعال والاستفهام الإنكاري والتوكيد .

– ومن ذلك أسلوب النداء:(**أيها السيدات والسادة ..**) وهذا نداء للقريب بأي ، ونراه وبدأ خطبته على عادة العرب القدامى، في بدأ خطبهم بالنداء لتلقي الكلام بوعي وانتباه واهتمام . وكرر هذا النداء في الخطبة أكثر من ست مرات، والنداءات في الخطبة كثيرة ومتنوعة منها:(**يا كل رجلٍ وامرأةٍ يا أيتها الأم الثكلى – يا أيتها الزوجة – يا أيها الابن – يا كل ضحايا الحروب–..)**

– وأسلوب الاستفهام:وأساليب الاستفهام الإنشائية مثل:(**ما هو السلام بالنسبة إلى إسرائيل؟– لو وجهت إليك إسرائيل الدعوة فعلاً ؟ – لماذا لا نتصدى معاً ؟– لماذا نورث هذه الأجيال نتائج سفك الدماء ؟ – لماذا لا نمد**

أيدينا ؟ – لماذا لا تتفق إرادتنا بصدق ؟ – لماذا لا نؤمن بحكمة الخـــالق؟...) وغيرها.

– استفهامات خرجت من معناها الحقيقي إلى معنى آخر مجـــازي، وهـــو التعجب والاستغراب وآخر للتحقير مثل:**(أين هو هذا الشعب؟!)**.

– وأسلوب النهي المجازي لغرض الدعاء :**(لا تجذبني مع الأشرار)** **والأمر (إن عليكم أن تستوعبوا جيداً) .**

– وأسلوب التوكيد : كثرت في الخطبة الجمل الخبرية المؤكدة بالحقائق والأسلوب المنطقي، الذي لا سبيل إلى الشك في قوته وصدق دلالته.

ومنها :**(إنني أريد أن أجنب الشعب العربي ــ لقد تحملت وأتحمـــل ــ إنني مستعد لتوقيع اتفاق سلام ــ إنني ألتمس العذر لكل من ــ لقد مررنا نحن العرب ــ إن السلام ليس توقيعاً على سطور ــ إن السلام ليس مبـــاراة ــ إن الصواريخ والبوارج والأسلحة ...– إن دور العبادة الإسلامية والمسيحية– إن قضية شعب فلسطين – ولقد أعلنت أكثر من مرة ...)**.

وأسلوب التقديم والتأخير:**(أمانة المســئولية أمـــام الله)** للاهتمـــام ــ **(السيدات والسادة)**وتقديم السيدات على السادة فيه مراعاة لحقوق المرأة، وبيـــان أن لها مكانة في المجتمع العربي عامة، والمصري خاصة .

هذا ولا شك أن التجربة الأدبية، أو العاطفة الصادقة ، كانت وراء نجاح هذه الخطبة، على المستوى المصري والدولي، فقد انفعـــل الســـادات بأحـــداث الحرب، التي خاضها منذ مشاركة الزعيم جمال عبد الناصر، وحتـــى خوضـــه حرب أكتوبر، ومن ذاق مرارة الهزيمة، وحلاوة النصر يقدر معنى السلام، فهي تعني نصراً لجميع الأطراف.

وحديث الخطبة عن السلام، يلين القلوب المتحجرة ،ويصـــلح النفـــوس الخربة ، ويجعل السلام محبباً لكل نفس.

واعتماد الخطبة على الإقناع والاستمالة، بالإضافة إلى العاطفة الصادقة المتميزة، وأسلوبها المتنوع بين الحكمة والموعظة والجدال، والحوار، وقوة التصوير في آدائها، يهدف ذلك أولاً وأخيراً إلى استجابة السامعين والتأثير في نفوسهم، فالعاطفة هنا جياشة قوية صادقة، عرفت طريقها إلى قلب السامع والمتلقي ، فاستحوذت عليه، وجعلته أسير صدق مشاعر الخطيب وعاطفته الإنسانية .

٧- من جهة ألفاظ الخطبة :

ألفاظها سهلة واضحة لا تحتاج إلى معجم لغوي، ولا عجب في ذلك ؛لأن جمهور المستمعين من غير العرب، وشأن هذه الخطبة تترجم للحضور ، فحاجتها للوضوح والسهولة أشد؛لأن الهدف منها تحقيق مصالح الشعوب والدول، وهي مع ذلك تحوي الكثير من المعاني المثيرة والألفاظ الموحية.

- أما من حيث الأسلوب الخطابي في تلك الخطبة :

فاتسم بالإطناب غير الممل؛ لأن بسط القول وتكرار بعض القضايا، والمفاهيم والمعاني بالشرح والتفصيل، والتوليد، يؤدي في النهاية إلى قوة التأثير والإقناع .

ومن صور الإطناب في الخطبة التكرار :-

إذا كان الحرص على تقديم الأفكار واستيفائها ينشأ عنه تكرار الأفكار ، فإن هذا الحرص دفع الكاتب إلى ظاهرة أسلوبية أخرى وهي الإطناب بتكرار بعض الألفاظ .

فإلحاح الكاتب على إيضاح أفكاره، جعله يشفع ذلك بذكر الألفاظ والعبارات ،التي تجذب المتلقي إلى الأخذ بأفكاره والاقتناع بها .

فنرى تكراره لفظ:**(من أجل)** أكثر من ست مرات **(من أجل أن نحمي حياة أبنائنا وأخوتنا جميعاً ، من أجل أن تنتج مجتمعاتنا وهي آمنة مطمئنة ،**

من أجل تطور الإنسان وإسعاده...من أجل مسؤليتنا أمام الأجيال ، من أجل بسمة كل طفل يولد ... من أجل كل هذا).

كذلك تكراره لفظ الجدار والحاجز وإطنابه في الحديث عنهما:(**علينا أن نعترف معاً أن هذا الجدار ، قد وقع وتحطم في عام ١٩٧٣م ، ولكن بقي جدار آخر، هذا الجدار الآخر يشكل حاجزاً نفسياً معقداً بيننا وبينكم : حاجزاً من الشكوك ــ حاجزاً من النفور ، حاجزاً من خشية الخداع ، حاجزاً من الأوهام ، ... حاجزاً من التفسير الخاطئ ...**).

فمثلاً تكراره للفظ السلام مفرداً ، وجملاً خبرية مؤكدة ، وتكراره لأداة النداء في المقال الأخير، وتكرار المسند(**اخترت هذا الطريق ...، اخترت أن أحضر إليكم ... ، اخترت أن أعطي هذه الدفعة ... ، أخترت أن أقدم لكم ...**) .

وكل هذا وغيره، أدى دوره في جذب انتباه السامع، وتنشيط ذهن المتلقي ... وإلباس المعنى ثوب التأكيد ، وهذا يتناسب مع المقام تمام المناسبة ؛ لأنه يشعرنا بعظم المسئولية ، ويقرر نصب أعيننا أهمية السلام .

والسادات يؤكد بتكراره وإطنابه، أن من يريد السلام عليه أن يتخلى ويبتعد عن كل ألوان العنف، والقوة والتعصب ، فالسلام يبدأ من داخل الإنسان .

والمطلوب الآن هو السلام النفسي الذي يحظى به الإنسان من داخله .

يقول مثلاً:(**رحلة السلام في يوم العيد الإسلامي الكبير ، عيد الأضحى المبارك عيد التضحية والفداء**) .

والتكرار والإطناب، وازدواج الجمل، أضاف نوعاً من الموسيقا النثرية الناتجة من ترتيب الكلام ترتيباً نفسياً يوافق اهتزاز المشاعر، وتموجات النفس، فالكلمات عبرت عن خواطر تطرد وتتدفق منسجمة في نسقٍ خاص ، وهذا ما

يعرف بالموسيقا الخفية (وآية هذه الموسيقا انتقاله من معنى إلى معنى في تدرج يصعد بالمعاني وفق ما يتصور الذهن وما يناسب الإحساس)[١] .

– ومما يعين الخطيب على تحقيق الهدف من الخطبة أن يلتـزم فيهـا (بالوحدة الموضوعية):

وتبدو هذه الوحدة في الخطبة، فلم يخرج السادات عن حديث السلام، وما يتصل به من قضايا تؤدي لتحقيق ما يترتب عليه من نتائج كما التزمت الخطبة بالإحكام التام في ترتيبها وتنسيقها؛لأنها تناقش قضية تشغل الرأي العـام كلـه بدرجات متفاوتة، كما أن هناك اتفاق تام لدى الجميع على أن السلام أمر جدير ببذل كل جهد لتحقيقه،بل يعد أمراً ضرورياً لعالمنا الذي نعيش فيه ، فأمر السلام يتعلق بوحدة الوجود الإنساني ولقد أوضحت الخطبة هذا الهدف بكل الصور.

- **وأما الإيقاع الموسيقي** فهو بالنسبة للخطبة كالوزن والقافية بالنسبة إلى الشعر ، وإذا كانت الخطبة فناً نثرياً في ظاهرها ، فإنها في آدائها أدنـى إلـى الشعر، لصدورها عن الانفعال والعاطفة والتجربة ، وهدفها الأول التأثير وإثارة الانفعال.

ولقد قام الإيقاع الموسيقي في هذه الخطبة، على مقومات بسـيطة مـن أهمها الطباق والجناس والمقابلة وحسن التقسيم وكلها لم يتعمـدها الكاتـب بـل خطرت في الجمل والكلمات.

فالجناس مثل**(ملكا ــ لكم)،(الحق _ الحقيقة) ،(أمن _ أمان)، (اسماً_ مسمى)،(حديث_حديث)**وغيره فالمماثلة في الآداء الصوتي تقوي الجرس الموسيقي.

والطباق وقد جاء في بعض الجمل لاتفاقه وطبيعة الموضوع القائم على المعارضة والنقد – في أغلب المقالات – في مجال الحديث عن الحرب والسلام،

---

(١) راجع شكري محمد عياد – موسيقى الشعر العربي ص ١٠٢، وما بعدها – دار المعرفة ط: ١٩٦٨م.

الظلم والعدل،السعادة والشقاء ....**(القديم والحديث)،(ليل _ نهار)، (حل_نزاع)، (غرباً _شرقاً) ،(المغلقة_ المفتوحة) ، (الأرض _ الفضاء)** .

...وكذلك المقابلات:**(إن ما مضى هو آخر الحروب ونهاية الآلام _ وأن ما هو قادم هو البداية الجديدة ، للحياة الجديدة، حياة الحب والخير ...)**

(أن ينظروا إلى ما وراء الماضي ، بتعقيداته ورواسبه من أجل انطلاقة جسورة نحو آفاق جديدة ...) إلى غيرها من الأمثلة التي سبق ذكرها في الحديث عن الحكمة .

إلى جانب حسن التقسيم ، بموسيقاه في جذب الانتباه وأثره في كشف الأمور بدقة **(إلى كل رجل وامرأة وطفل)** _حيث لم يترك أحداً، وذكره لكل الديانات **(من مسلمين ومسيحيين ويهود)_ (الصواريخ والبوارج والأسلحة النووية) _ (في هذا المكان سياسياً وروحياً وفكرياً)_ (وتقدم إلى إسرائيل كل دعم معنوي ومادي وعسكري) _ (استقبله المجتمع الدولي .. بالتأييد والمساندة والاعتراف)** .

أما التوازن في الجمل ، فتبدو الجمل وكأنها أشطر متوازية، وجاء هذا واضحاً في أنشودة السلام، التي أطلقها في نداءات إنسانية مؤثرة: **(يأيتها الأم الثكلى، ويا أيتها الزوجة المترملة،يا أيها الابن الذي فقد الأخ والأب ، يا كل ضحايا الحرب ، املئوا الأرض والفضاء بتراتيل السلام ، املئوا الصدور والقلوب بآمال السلام ، اجعلوا الأنشودة حقيقة تعيش وتثمر ، اجعلوا الأمل دستور عمل ونضال ..)**

جمل مليئة بالعاطفة والصدق ، ساهمت فيها العديد من صور البلاغة والفن **(نداء ، طباق، سجع، أمر)**وتوجه النداء إلى هؤلاء الناس دون غيرهم ؛ لأنهم أكثر الناس اللذين ذاقوا مرارة الحرب، فحاجتهم إلى السلام أشد، وتجاربهم أصدق وانفعالاتهم أقوى، وتأثيرهم في غيرهم يكون أقدر على نشر السلام .

إلى جانب لفت أنظار القيادات والمسؤلين، إلى ضحايا الحرب وأخطارها على الإنسانية والإحساس بالألم والذنب. فالمطلوب الآن من الأسرة الإنسانية الكبيرة، أن تبذل أقصى جهدها في سبيل التغلب على كل الأخطار ، وأن تعمل بإيجابية وفاعلية من اجل سلام العالم.

وكذلك الجمل المتوازية والعبارات المتكررة في حديثه عن الجدار الذي بنته إسرائيل في ربع قرن وتحطم في ساعات عام ١٩٧٣م . يقول في جمل متوازية ساهمت في صنع موسيقى النص، وإيضاح الفكرة: **(كان جداراً من الحرب النفسية)_(كان جداراً من التخويف بالقوة)_ (كان جداراً يهدد دائماً بالذراع الطويلة)_(كان جداراً يحذرنا من الإبادة والفناء).**

وغير ذلك من الجمل المتفرقة في الخطبة مثل:**(هزت كثيراً من المشاعر، وأذهلت كثيراً من العقول)_(بالقلب المفتوح والفكر المفتوح)_(سفك الدماء ، وإزهاق الأرواح ،وتيتيم الأطفال ، وترمل الزوجات ، وهدم الأسر ، وأنين الضحايا) _(المواجهة المباشرة والخط المستقيم) _(لا تزعزعه الأنواء ولا تعبث به الشكوك ، ولا يهزه سوء المقاصد، أو التواء النوايا)_(فوق جميع صور التعصب ، وفوق خداع النفس ، وفوق نظريات التفوق)_(أحمل نفس المشاعر واحمل نفس المسؤلية)_(من حرب على حرب ومن ضحايا إلى ضحايا)_(هاوية رهيبة وكارثة مروعة)_(بالهروب منها أو التعالي عليها)**....وما إلى ذلك.

وظاهرة التوازن الواضحة في الخطبة، المختلطة بالتكرار والإطناب، نشأت من الحرص على تقديم الأفكار واستيفائها، مقترباً بذلك من ترادفات، وتوازنات، أدبائنا السابقين، أمثال: الجاحظ والمبرد والتوحيدي .

– يضاف إلى ما ذكر: أن طريقة الآداء في توجيه المعنى وتحديده ، لها أثرها الواضح ، فالآداء أو الأسلوب من التطويل والتقصير والحركات والإشارات، والضغط على مقاطع الحروف ، والوقف على الكلمات، وغيره يمثل

٣٥% من نجاح الخطبة ، وهذه الطرق الأسلوبية الأدائية قد تدل على المعنى منفردة ، وقد تتعانق في إبرازه ....[١].

وهكذا تعد طرائق الأداء من أهم المؤثرات الصوتية التي تسهم في التشكيل الدلالي للنص والكلام المنطوق وفي إبراز جمالياته الإيقاعية .

ويظهر أثر ذلك في رد فعل الجمهور والمستمعين من تصفيق وحسن استماع وغيره[٢] .

٨- الصور والأخيلة :

يتوقف أداء الأديب على حسن اختياره للصور التي تجلو معانيه، وتغمرها بالوضوح والإشراق ، فالصورة المنسقة البارعة هي التي تزيد المعاني جمالاً به يقرب البعيد ، ويجلى الغامض ، فينتقل الشعور إلى النفس حياً قوياً ممتازاً ... [٣].

والصور في خطبة السادات ،لا يتوقف اختيارها عند حدود التشابه بين الطرفين وإنما تتعدى ذلك إلى إثراء المعنى وتجليته واتساعه وعمقه، فنرى الخطبة اشتملت على كنايات أجاد الكاتب في اختيارها وتركيبها وتوظيفها لخدمة مضامينه الفكرية منها قوله**(قدمين ثابتتين)** كناية عن الثقة بالنفس وعدم التردد مع العزة والقوة.

(لن يجدي أحداً أن يصم أذنيه عن دويها المسموع ليل نهار) كناية عن وضوح الحق الفلسطيني وشرعية الدفاع عن قضيته واسترداد أرضه.

---

(١) موقع الرسالة الإليكتروني – برنامج علمتني الحياة – ج١ حلقة عن الخطابة – إعداد طارق سويدان .

(٢) يحتاج ذلك إلى بحث مستقل عن أثر الأداء في توجيه المعنى يقوم به أهل اللغة خاصة وأن هذه الخطبة مسجلة صوت وصورة (ڤيديو).

(٣) راجع:عز الدين إسماعيل – التفسير النفسي للأدب:ص ٦٦ وما بعدها بتصرف – دار العودة.

(سعينا نطرق الأبواب) كناية عن السعي لإيجاد الحلول بكل الطرق من مفاوضات وعقد مؤتمرات وغيره من السبل السلمية.

(للتضحية بفلذة كبده) كناية عن ابن سيدنا إبراهيم عليه السلام. **(الرؤية الثاقبة)** كناية عن الرأي السليم والفكر الصحيح.**(أوضاع وهمية أدار لها العالم كله وجهه)** كناية عن اعتراف المجتمع الدولي بحق الشعب الفلسطيني وعربية القدس وبطلان كل ما تدعيه إسرائيل من أوهام.**(أمة تحولت إلى جثة بلا حراك)** كناية عن الضعف والوهن.**(فلن تقوم للعرب قائمة بعد اليوم)** كناية عن الهزيمة والسلبية.**(إننا نؤجل فقط اشتعال الفتيل)** كناية عن عدم حل المشكلات حلاً جذرياً .**(حتى لا تراق نقطة دم واحدة)** كناية عن القتل.**(ولست أتعامل مع أحد إلا بلغة واحدة وسياسة واحدة)** كناية عن المصداقية والصراحة،وعدم التناقص بين القول والفعل وفي ذلك تعريض بالشخصية اليهودية.

أما الاستعارات بنوعيها فقد نالت من الخطبة حظاً وافراً جسدت من خلالها المعاني المختلفة حول الحرب والسلام ، والحق والباطل، والسعادة والشقاء. واتسمت بالسهولة والوضوح وقوة التأثير حيث قال مجسداً السلام بوصفه هدفاً مشتركاً للإنسانية في كل زمان ومكان:**(نزفه إلى العالم المتعطش للسلام)، (قدموا للعالم صورة الإنسان الجديد)،(املئوا الأرض والفضاء بتراتيل السلام)، (اجعلوا الأنشودة حقيقة تعيش وتثمر)،(نقيم صرحاً للسلام يحمي ولا يهدد ، يشع للأجيال القادمة أضواء الرسالة الإنسانية)،(سلام لا تزعزعه الأنواء ولا تعبث به الشكوك..)،(السلام العادل والدائم)،(نبني حياة جديدة)،(تباشير الأمن والأمان والسلام)،(فتحنا قلوبنا لشعوب العالم كله)،(بالقلب المفتوح والعقل المفتوح)،(السلام في جوهره نضال جبار ضد كل الأطماع والشهوات).**

هذه الصور المثرية للمعنى والموضحة له جاءت توضح أن السلام يعني البناء والتعمير والعمل الخلاق وصنع الحضارة وهو حلم ليس بعيد المنال رغم

أن الطريق إليه شاق وطويل ويجب السعي إلى تحقيقه فهو ضرورة من ضرورات الحياة وبدونه تنتهي .

فهو السكينة التي تملأ العقول والقلوب وتجعل الدنيا جنة مثمرة بالورود والرياحين ، وهذه السكينة التي تتمثل في السلام هي تجسيد للمبادئ الإنسانية وتطبيق لمبدأي العدل والرحمة .

وهذه الصورة المجسدة للسلام عمقت معناه في داخلنا وجعلته أملاً منشوداً تسعى إليه كل الأجيال والوجه الساداتي البشوش في إخلاصه كان تعبيراً عن قلب متفتح للخير ومملؤ بالسلام وبعيداً عن الكبر والبغض.

وإذا كان السادات استطاع أن ينقل لنا صورة السلام وقيمته الفريدة لحياة الإنسانية وسعادة الأجيال ، فهو بالتالي حملنا المسئولية على نفس القدر وحتم علينا الوفاء حين جسد وشخص في المقابل صورة الحرب ، والخلاف ، والطمع ، الجدال ، وعدم المصارحة مثل قوله:**(العالم الكبير المعقد بصراعاته الدامية، المضطرب المهدد)،(إن الصواريخ والبوارج لا يمكن أن تقيم الأمن، ولكنها على العكس تحطم كل ما يبنيه الأمن)،(سلطان قوة السلام)،(إيقاد الحروب الصليبية)،(المشكلة الفلسطينية قلب الصراع وجوهره)،(النزاع سوف يتزايد ويتصاعد)،(مناورة كلامية)،(ولا حل للمشكلة أبداً بالهروب منها أو التعالي عليها)،(قذائف الأحقاد)،(جدار من الحرب النفسية)،(ضحية الحرب)،(تتأخر مسيرة السلام أو يقتل السلام)**.... وغيره من الصور التي جسدت مرة وشخصت أخرى الحروب البشعة والعدوان والرغبة في التوسع على حساب الآخرين ، وكذلك السلبية وعدم الاكتراث، وأفعال إسرائيل التي في الغالب تسير في اتجاه مضاد للسلام،فالعدوان والظلم والاضطهاد ضد الشعب الفلسطيني والرفض لقبول حل المشاكل كل ذلك يؤدي إلى التعصب،الذي يدمر السلام ويؤدي إلى أعمال غير إنسانية، في ظل عدم مصداقية مؤسسات السلام العالمية.

وللمجاز نصيب في التأثير النفسي وامتلاك حواس المتلقي ، كقوله: **(ليس هذا وارداً في سياسة مصر)،(إنني أحيي أصواتاً إسرائيلية طالبت بالاعتراف بالحق الفلسطيني)**.

وفي النص قليل من التشبيهات مثل:**(عليكم أن تواجهوا الحقيقة كاملة، كما واجهتها أنا)، (من واقع هذه الحقائق أن أضعكم في صورتها كما أراها)**.

وعلى هذا النحو اعتمد الكاتب في أسلوبه من حيث الألفاظ والعبارات على الإبانة والإيضاح فانتقى كلماته الموحية ، وعباراته الكاشفة ،وصوره المشخصة المؤثرة ، بعيداً عن الالتواء والغموض والتكلف ، فوضع يد المتلقي على المعاني التي أراد توجيهه إليها .

وختم السادات حديث الخطبة حول قضية السلام بهذا القبس النبوي الشريف هذه الصرخة الإنسانية التي تحمل المسئولية للجميع مع الآخرين ومع العالم بقوله **(ألا هل بلغت اللهم فاشهد)**.

هذا القبس المليء بآيات البيان النبوي لأعظم قادات البشرية والإنسانية، معلم احترام الكرامات والحريات والحقوق.

فنرى أن الاستفهام هنا ليس على حقيقته، فالجميع من الحاضرين يعلم علم اليقين بأن السادات قد بلغ رسالته نحو السلام. وهنا خرج الاستفهام إلى غرض آخر يتناسب مع الموقف وهو التقرير ، ولا أدل على ذلك من هذه الصرخة الأخيرة التي تهز أقصى ما في الأعماق ، وتشير إلى الحرص الشديد على أن يمثل الجميع لدعوة السلام .

وكأن السادات أراد من هذا الاستفهام وضع إسرائيل كلها من خلال مجلس الشعب في دائرة المسئولية وكأن مهمتها في هذا الأمر الخطير أعظم من غيرها .

وأحسن السادات في استلهام هذا المقطع النبوي من خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع ؛لأن المقام هنا مقام تبليغ ومسئولية وقرار وتحمل مصير أمة .

وسيظل هذا التعبير يخترق حواجز الزمان والمكان ليقرع القلوب والآذان إلى آخر الزمان ويتجدد مع الأيام .

ومن عوامل التوفيق التي تضاف إلى الخطبة أنها انتهت بآيات من الذكر الحكيم التي وفق الكاتب في اختيارها ، فقد كان من الممكن أن تنتهي بهذه الآية ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾(١).

وفي ذلك توجيه مباشر بهذا الحق العظيم إلى إسرائيل وإلباس قضية السلام ثوب التأكيد بما يوضح أن الحفاظ على الإنسانية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية وكان لابد من التنبيه على ذلك من بداية الخطبة ، ولكن الكاتب آثر نهاية الخطبة بآيات من سورة آل عمران آيات تضع الإنسانية كلها بدياناتها وشعوبها في منزلة واحدة أرادها الله لها في مكانة مرتبطة بالسماء والتوجيه الرباني .

وعلى البشرية أن تعلن بمحض اختيارها قبول هذه المكانة وتعلن استعدادها لتحمل المسئولية وممارسة الواجبات والحقول المتصلة بذلك.

وبعد:

فلعلنا بعد التعرف على خطبة السادات في عرض قضية السلام الدائم العادل تحليلاً ونقداً نستطيع أن نتبين إمكانات الخطبة الفكرية والبيانية الهائلة التي تحتاج إلى جهد أوفى وأشمل وأعمق فما ذكرت فيه إضاءة ومحاولة .

كما نستطيع أن نقرر من خلال الخطبة غلبة غاية السادات الإصلاحية الأخلاقية من واقع تحمل المسئولية واتخاذ القرار.

---

(١) سورة المائدة آية :٣٢.

كما أن الخطبة تقدم تجارب الشعب المصري في مسيرة الحرب حتى تحقيق النصر ثم السلام فهي مقالة تاريخية ذاتية للشعب المصري كما أنها وثيقة تاريخية تؤكد حق الشعب الفلسطيني في وطنه وأرضه .

كما وصفت الخطبة وسائل تحقيق السلام وجسدت أسباب السعادة والطمأنينة .. وغيره .

وهذا يكشف عما أوتيه الكاتب من عينٍ ناقدةٍ نافذةٍ وبصيرةٍ بدقائق الأمور فاستطاع بها أن يرصد الواقع المحيط سواء المجتمع المصري أو الإسرائيلي أو الفلسطيني وكذلك موقف الإنسانية والعالم .

وقدم الآراء والعلاج الحاسم للمشكلة الفلسطينية والنظرات الإنسانية الواقعية والتعلق بالمثاليات سواء أكانت من الممكنات الميسورة أو كانت من المستحيلات عسيرة التحقيق في ظل الطمع والعدوان التي من شأنها تهذيب النفس والاتجاه بها نحو بناء المستقبل بفكرٍ إيجابي من أجل العثور على فرصٍ جديدة وحلولٍ بناءةٍ .

تلك القضية حمل لواءها السادات وسعى إليها حتى تطايرت ولم يبق منها إلا الكلمات ، وقد حان الآوان للشروع في بيان موقف آخر يرضاه الله ورسوله والمؤمنون .

وبالله التوفيق ...

د/ هدى سعد الدين يوسف
عضو هيئة التدريس
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بسوهاج
جامعة الأزهر

المراجع

١- **أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب** – أدب الدنيا والدين – الكتب العلمية – بيروت ط : ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٢- **تيسير الفيتاوي** – مقومات رجل الأعمال الإسلامي – دار عمار بالأردن .

٣- **عبد العليم محمد** – الخطاب الساداتي – تحليل الحقل الأيدولوجي للخطاب الساداتي –كتاب الأهالي – القاهرة١٩٩٠م.

٤- **عماد علي عبد اللطيف** – البلاغة السياسية – تحليل لمختارات من الخطب السياسية للرئيس الراحل محمد أنور السادات ١٩٧٠م-١٩٨١م . رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه كلية الآداب – جامعة القاهرة ٢٠٠٨م.

٥- **غالي شكري** – المثقفون والسلطة في مصر – أخبار اليوم –مصر ط:١٩٧٨م.

٦- **مأمون حرار** – خصائص القصة الإسلامية ط: دار المنار للنشر والتوزيع – جدة .

٧- **محمد عبد السلام الزيات** – السادات: القناع والحقيقة – كتاب الأهالي – القاهرة.

٨- **محمد عبد الغني حسن**- الخطب والمواعظ – سلسلة فنون الأدب العربي – دار المعارف.

٩- **محمد كامل حسين** – الشعر العربي والذوق المعاصر – القاهرة بدون ط.

١٠-**محمد مسعد محمد** – أساليب القيادة وصنع القرار – القاهرة ٢٠١٠م – ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع.

١١-**مصطفى صادق الرافعي** – وحي القلم – ط:مكتبة الأسرة القاهرة ٢٠٠٢م .

١٢-**نبيل عبد الفتاح**- المصحف والسيف : صراع الدين والدولة في مصر – مكتبة مدبولي – القاهرة ١٩٨٤م.

١٣-**هالة مصطفى** – النظام السياسي والمعارضة الإسلامية في مصر – مركز المحروسة للنشر – القاهرة ١٩٩٥م.

١٤-**حولية كلية أصول الدين بالقاهرة** – العدد(٥) ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١٥-**حولية مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات** بالقاهرة العدد الأول ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١٦-**مجلة الحج** ٢٠٠ العدد (٥٥) المملكة العربية السعودية .

- هذا إلى جانب كثير من المراجع الثانوية التي ذكرت في هامش البحث .

***